# التعليقات المنيفة

# على القواعد الأربعة

لفضيلة الشيخ

حسن بن عبد الوهاب البنا

حفظه الله ورعاه

اعتنى به ،وحشّى عليه ،ونظمه

أبو سفيان عمرو سادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ وحدَه ،والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَه ؛أمَّا بعدُ ؛فهذا-بفضلِ اللهِ تعالى- شرحٌ سهلٌ ميسرٌ ؛لفضيلةِ الشيخِ الوالدِ حسن بن عبد الوهاب بن مرزوق البنا -حفظهُ اللهُ تعالى- على متنِ "القواعد الأربعة"[١] ؛للإمامِ المجددِ شيخِ الإسلامِ محمدِ ابنِ عبد الوهاب –رحمه اللهُ تعالى-.

وكان الشيخ -حفظه الله تعالى- قد أملاه في مجلسٍ واحدٍ ؛ضُحى يومِ الخميسِ الرابعَ عشرَ من شعبانَ ١٤٣٥هـ[٢] .

ثم حثني الشيخ –حفظه الله تعالى- على الاعتناء بهذا الشرحِ المباركِ ،وإخراجِه[٣] لكي ينتفعَ بهِ من شاءَ اللهُ –تعالى- ،وقد حشّيتُ عليه بما شاء اللهُ –تعالى- من كلام أهل العلم سلفًا وخلفًا.

ثُمَّ راجعه الشيخُ -حفظه الله- ،وصحح ،وأضافَ ،وكذلك راجعَه شيخُنا المفضالُ عادلُ السيد -حفظه الله- ،وأثنى عليه خيرًا ؛فالحمدُ لله ربِّ العالمين.

وقد يسرَ اللهُ –تعالى- نظمَه –أيضًا- ؛فنظمتُه[٤] ،وعرضتُ النظمَ على الشيخِ-حفظَه اللهُ- ؛فاستحسنَه ،وأمرني بوضعِه مع الشرحِ ،وقد كانَ ،وللهِ الحمدُ والمنّةُ.

**تمهيد:**

وهذه الرسالةُ المباركةُ قد اشتملت على:

---

[١] يُقال: ((القواعد الأربع ،والأربعة)) لأن المعدود إذا تقدم على العدد جاز فيه الوجهان ؛قال الصبان في حاشيته (٤/ ٨٧) :"...فلو تقدم {أي: المعدود} وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ؛كما لو حذف تقول: مسائل تسع ورجال تسعة، وبالعكس ؛كما نقله الإمام النوويّ عن النحاة ؛فاحفظها فإنها عزيزة "أ.هـ.

[٢] وكان بصحبتي أخي ،وصديقي الفاضل أبو عمرو جمال باظه -وفقه الله تعالى وجزاه خيرًا-.

[٣] وكذلك غيره كالأصول الستة ونواقض الإسلام بشرح الشيخ حفظه الله تعالى- يسر الله ذلك بفضله ومنّه.

[٤] وسميته: ((الروض المربع نظم القواعد الأربع)).

مقدمةٍ ،وتمهيدٍ ،وأربعِ قواعد (هي أساسُ الرسالةِ) ،ثم خاتمة.

*فأما المقدمةُ ؛ففيها الدعاء للمستفيد بهذه الرسالة ؛وتشتمل المقدمة على فوائد تأتي في محلها.

*وأما التمهيد ؛ففيه بيان معنى الحنيفية ملة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- ،وفيه فوائد تأتي في موضعها.

*وأما القواعد الأربع ؛فمدارها على التفريق بين دين المسلمين ،ودين المشركين الذين أرسل فيهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،وقاتلهم ،والرد على أهل التصوف ،وأتباعهم من عباد القبور الذين وقعوا فيما وقع فيه المشركون الأوائل ؛كما سيأتي إن شاء الله –تعالى- وذلك بمعرفة أمرين اثنين :

١ـ التوحيد الذي جاء به الرسل –عليهم الصلاة والسلام- [٥].

٢ـ حال المشركين ،وما كانوا يعتقدون[٦].

## وخلاصة القواعد الأربعة :

أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

١- كانوا يقرون بالربوبية في الجملة.

٢- وما عبدوا معبوداتهم لذواتها ؛وإنما للقربة ،والشفاعة.

---

[٥] وينظر في ذلك فضلا عن كتب الإمام المجدد –رحمه الله- لاسيما الكتاب الفريد "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" ؛ينظر للإمام الحجة عبدالرحمن بن يحيى المعلميّ اليمانيّ -رحمه الله تعالى- " الحنيفيّة ،والعرب " وكذلك" عقيدة العَرَب في وثنيَّتهم" وكتابه الفذ " رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله والفرق بين التوحيد والشركِ بالله" ضمن مجموع رسائله –رحمه الله تعالى-.

[٦] قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : "ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم؟ ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه ؛حتى يتبين له تأويل القرآن ويعرف ما كرهه الله ورسوله فلينظر سيرة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرقيّ في أخبار مكة ،وغيره من العلماء "ا.هـ اقتضاء الصراط المستقيم تـ /الفقي (ص: ٣١٤).

٣- وكانوا متفرقين في شركهم ؛يعبدون معبوداتٍ مختلفةً.

٤- وكانوا يعرفون التوحيد الذي جاء به الرسل ؛ولذلك كانوا يخلصون في الشدة! ؛بخلاف المتأخرين!.

*وأما الخاتمة ؛فبالصلاة ،والسلام على النبيّ –صلى الله عليه وسلم- وآله وصحبه –رضي الله عنهم- ؛-وسيأتي شرحها في حينه بإذن الله-.

**تنبيه :**

وهذه الرسالة المباركة رغم صغر حجمها قد اشتملت على أربعةَ عشرَ دليلًا من القرآن ،ودليلٍ واحدٍ من السنة الصحيحة ،وهذا ما لا تجده إلا عند أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر ؛فاعتمادهم مبناه على الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة ؛بخلاف أهل الأهواء والبدع اعتمادهم على الآراء والمعقولات –زعموا- ،ولذلك تجد كتب أهل الكلام –وإن طالت- خلوًا من الدليل! ،إلا ما ندر ؛ويكون –لو كان- من باب اتباع المتشابه -أيضا- سلمنا الله من الزيغ وأهله.

**فائدة :**

والإمام المجدد –رحمه الله تعالى- يكثر في كتبه عامة من الاستدلال ،والاستمداد من القرآن الكريم ؛وذلك من عظيم فقهه –رحمه الله- ؛لأن الفِرَقَ جميعًا لا يختلفون على القرآن ،ويختلفون في السنة! ،فهذا أوقع في رجاء هدايتهم ،وإقامة الحجة عليهم.
والله أعلم ،وبه التوفيق.

وصلى الله ،وسلم على عبده ورسوله محمد ،وعلى آله وصحبه
وسلم ،والحمد لله رب العلمين.

كتبه

أبو سفيان

عمرو سادات

ليلة السادس من رمضان ١٤٣٦

من هجرة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- .

الموافق بقدر الله –تعالى-٢٠١٥/٦/٢٣م.

## قال الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-[٧] :

{مقدمة}[٨]

## بســـــــــمِ اللهِ الرحمـــــــــــنِ الرحـــــــيمِ[٩]

---

[٧] هو الإمام الحجة شيخ الإسلام "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميميّ ؛النجديّ، ولد عام (١١١٥هـ)، وتوفي عام (١٢٠٦هـ).

ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز ،فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها، وزار الشام، ودخل البصرة فأوذي فيها ،وعاد إلى نجد ؛فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة.

ثم انتقل إلى العيينة ؛ناهجًا منهج السلف الصالح ،داعيًا إلى التوحيد الخالص ،ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام.

وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره ،ثم خذله ،فقصد الدرعية (بنجد) سنة (١١٥٧ هـ) ،فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام ،وقبل دعوته وآزره ،كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ،ثم سعود بن عبد العزيز ،وقاتلوا من خلفه ،وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلاميّ كلّه، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ،ومصر ،والعراق ،والشام ،وغيرها ،وعرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بـ (أهل التوحيد) ... وسماهم خصومهم بالوهابيين!، وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين فدخلت معجماتهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها مذهبًا جديدًا في الإسلام تبعا لما افتراه خصومه؛ ولا سيما دعاة من كانوا يتلقبون بالخلفاء من الترك!.

وكانت وفاته في الدرعية، وحفداؤه اليوم يعرفون ببيت (الشيخ) {أو آل الشيخ ،والمراد بالشيخ هو الشيخ ابن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى-} ،ولهم مقام رفيع عند آل سعود{حفظ الله –تعالى- العلماء ،والأمراء على طاعته})) انتهى بتصرف من (الأعلام) للزركليّ (٦/ ٢٥٧).

[٨] ما بين المعقوفين{} زيادة على المتن.

[٩] وفي البسملة مباحث عدة نذكر أهمها:

أولًا : ابتدأ-رحمه الله تعالى- بالبسملة :

١- اقتداءً بالكتاب العزيز ؛حيث ابتداؤه ،وابتداءُ سُوَره بها.
٢- واتباعًا للسنة النبوية العملية في كتابة الرسائل.
٣- واقتفاءً لما جرى عليه علماء الأمة في افتتاح تصانيفهم.

ثانيًا : في معناها وبعض الفوائد العقدية فيها:

قال الإمام السعديّ –رحمه الله تعالى- : (({بِسْمِ اللَّهِ} أي: أبتدئ بكل اسم لله –تعالى- ؛لأن لفظ {اسم} مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى. {اللَّهِ} هو المألوه المعبود ،المستحق لإفراده بالعبادة ،لما اتصف به

أســـــأ ل الله الكــــــريم ربّ العـــــرش العظـــــــــيم أن يتـــــولاك[١٠]

من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} اسمان دالان على أنه –تعالى- ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي ،وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله ؛فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة ،ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات.
فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم ؛فالنعم كلها ،أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء ،يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير،ذو قدرة يقدر على كل شيء)) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩) ط/الرسالة.
ثالثًا : في الفرق بينها وبين التسمية ،وما يترتب على ذلك:
قال أبو الرضا، الحمويّ (ت٧٩١هـ) : ((التسمية، والبسملة قطع الجمهور بترافدهما. ولو قيل: إن التسمية عبارة عن ذكر اسم الله مطلقًا لكان حسنًا)) "القواعد والإشارات في أصول القراءات"(ص: ٤٢).
وقال ابن حجر الهيتميّ :(( البسملة عبارة عن قولك (بسم ا لله الرحمن الرحيم)، بخلاف التسمية فإنها عبارة عن ذكر الله بأي لفظ كان )) ؛كما في الفتوحات الربانية بشرح الأذكار النووية (١/٢٩٩).
قلت : وهذا هو الراجح –إن شاء الله- لأن البسملة من "بسمل –يبسمل -بسملة" مصدر منحوت من "بسم الله الرحمن الرحيم" ؛كالحوقلة ،والحمدلة ،ونحو ذلك ؛بخلاف التسمية ؛فهي مصدر صناعيّ من "سمّى – يسمّي –تسميّا ،وتسمية".
ولما كان أمر العبادة أمرًا توقيفيًّا - لاسيّما الذكر ؛كما في دعاء النوم من حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه- قال : (... قلت: وبرسولك الذي أرسلت ،قال: " لا ،ونبيك الذي أرسلت) ،والحديث في البخاريّ ٢٤٤ ،وغيره- كان لابد من مراعاة ذلك ؛فالتسمية عند كل أمر ،والبسملة لم تأت إلا عند قراءة القرآن الكريم ،وعند كتابة الرسائل ؛كما ثبت في السنة الفعلية ،وكذلك في القرآن من فعل سليمان -عليه الصلاة والسلام- ؛ قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ النمل: ٣٠
وأما فيما سوى ذلك فلم يقل "بسمل" قط ،وإنما جاء" سمِّ الله ،وكل بيمينك" "سمّوا الله عليه ،وكلوه" ،ونحو ذلك ،والله أعلم.

[١٠] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "هذه المقدمة دليل على أن الشيخ -رحمه الله- من أهل الأخلاق الحميدة ؛التي كان عليها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،وأكثر من الحميدة ؛فأنا أعبر بتعبير على قدري! ؛لأن الدين الصحيح يشمل كل شيء من الفضائل ؛وأولها وعلى رأسها العقيدة والمنهج الصحيح ،ثم العبادة والطاعة ،والأمور الاجتماعية بين الناس ،والأخلاق الفاضلة ؛وهذه كلها تعتبر عند المؤمن وحدة واحدة ؛إذا اختل منها شيء ؛فإنه يؤثر في إيمانه ،ولا يكفر إلا بارتكاب ناقض لا يعذر فيه ،والإخلال بشيء منها –أيضا- يؤثر في سلفيته ؛ولا نقول أنه يخرج عن السلفية ؛إلا إذا ابتدع ؛ونوصح ؛فلم ينتصح.

في الدنـــيا ،والآخــــرة ،وأن يجعــــلك مبـــاركًا [١١] أينـــــما كنـــــت

وهذه المقدمة من أساليب التشويق إلى طلب العلم ؛ولذلك ابتدأ بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- حديثه في هذه الرسالة المباركة "ا.هـ.

قلت :وبيان كلام الشيخ البنا -حفظه الله تعالى- فيما يلي:

أولًا: أما أن المقدمة دليل على أن الشيخ الإمام -رحمه الله- من أهل الأخلاق الحميدة ؛التي كان عليها الرسول -صلى الله عليه وسلم-" فللآتي:

١- دعاء الشيخ لطلاب العلم والمستفيدين وعامة المسلمين ،وهذا أمر ظاهر في كتبه ورسائله -رحمه الله-.
٢- محبته الخير للمسلمين ،مع رحمته وشفقته عليهم.
٣- حرصه على حصول السعادة لغيره من إخوانه المسلمين ،فيرسم لهم الطريق بالشكر ،والصبر ،والاستغفار.

ثانيًا: وأما أن "هذه المقدمة من أساليب التشويق إلى طلب العلم" ففي الآتي:

فلأن النفس تتشوق إلى حصول الخير بتولي الله –تعالى- للعبد ،وحصول البركة ،وتحصيل السعادة ؛وهذه الخيرات إنما يكون حصولها بالعلم النافع "قال الله- قال رسوله -قال الصحابة" ،فتقبل -حينئذ- النفس على العلم مطمئنة بخطى حثيثة ،وأول ما يجب تعلمه هو التوحيد لأنه لا نجاة للعبد إلا به ،مع معرفة ضده وهو الشرك حتى لا يقع فيه ،والخلوص من شَرَكِ الشِّرْك ؛يكون "بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه".

وفي كلام الشيخ البنا -حفظه الله تعالى- فوائد منها:

١- تواضعه –حفظه الله ،وهذه سمة ظاهرة فيه.
٢- ربطه جميع الأمور بالعقيدة والمنهج ،ومن تأمل الكلام وجد صحة ذلك.
٣- عنايته بالأخلاق والسلوك والعمل الصالح عامة مع صحة العقيدة والمنهاج.
٤- أن الإيمان قول وعمل ؛يزيد وينقص ؛يزيد بالطاعة ،وينقص بالمعصية ،حتى يصير أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ،أو يخرج منه بالكلية بارتكاب ناقض من نواقضه.
٥- وأنه يجب التحذير من البدع وأهلها ،وبذل النصيحة للمسلمين ؛حماية للدين ،فمن لم ينتصح وأصرّ على بدعته حذر منه عينًا ،وبُدّع عينًا.

[١١] وهو اقتباس من قوله –تعالى- : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ مريم: ٣١ ،و الاقتباس هو أن يُضمَّن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه "ا.هـ من بغية الإيضاح.

وخلاصة كلام المفسرين في تفسير الآية الكريمة قول الإمام البغويّ –رحمه الله تعالى- : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ مريم: ٣١ أي نفاعًا حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلما للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركا على من تبعني"ا.هـ ؛وكل ذلك ينبغي على طالب العلم السلفيّ أن يتحلى به ،وأن يحرص عليه.

،وأن يجعـــــــلك ممـن إذا أُعـــــــطى شـــــــكـــــــر[12]

[12] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "أما عن الشكر ؛فقوله : "إذا أعطي شكر" ؛يذكرنا ذلك بما جاء في الأثر : ((أن نوحًا عليه السلام سُمي عبدًا شكورًا لأنه كان إذا أكل الأكلة شكر ،وإذا شرب الشربة شكر))"ا.هـ

قلت: هو أثر يروى عن بعض الصحابة والتابعين وفي أسانيده مقال ،ويرجع في ذلك إلى كتب التفسير بالمأثور كالطبريّ ،وابن أبي حاتم ،وغيرهما عند قوله- تعالى- :﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣ ،ومن أحسنها حالا ما جاء عن سعد بن مسعود الثقفيّ -رضي الله عنه- قال: إنما سمي نوح عبدا شكورا لأنه كان إذا أكل وشرب حمد الله -عز وجل- " رواه الطبرانيّ في معجمه الكبير٦/ ص ٣٢ رقم: ٥٤٢٠ ؛وقال الهيثميّ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط دار الفكر، بيروت (٥/ ٣١) :

رواه الطبرانيّ ،وتابعيه سعد بن سنان لم أعرفه ،وبقية رجاله رجال الصحيح "ا هـ.

وعند مسلم (٢٧٣٤) وغيره عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها".

وعن معاذ بن أنس الجهنيّ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه أبو داود (٤٠٢٣) والترمذيّ(٣٤٥٨) وابن ماجه (٣٢٨٥) وصححه الإمام الألبانيّ –رحمه الله تعالى-.

قلت وفي ذلك فوائد :

١ـ إذا كان أهل التوحيد والإيمان يشكرون الله- تعالى- ،ويحمدونه على النعم الحسية ؛فعلى النعم المعنوية من باب أولى ،وأولها التوحيد ،ثم المتابعة ،فغذاء الروح مقدم على غذاء البدن ،وأول غذاء الروح العلم ،ولذلك قال أهل العلم أُوّل اللبن في المنام بالعلم ؛كما في حديث عمر –رضي الله عنه- المتفق على صحته ؛لأن العلم أول غذاء الروح واللبن أول غذاء البدن ؛فعليك ياعبد الله –لاسيّما طالب العلم السلفيّ- أن تتفقد النعم المعنوية ؛نعم الروح والقلب ،أشد من تفقد النعم الحسية نعم البدن والجوارح ،وفي المقابل عالجنّ أمراض الروح والقلب ،أشد من معالجتك أمراض البدن والجوارح ؛فإن الأمر ؛كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : "إن في الجسد مضغة إذا صلحت ،صلح الجسد كله وإذا فسدت ،فسد

،وإذا ابتـــــــــليَ صـــــــــــبرَ [١٣]، وإذا أذنـــــــــبَ

الجسد كله ،ألا وهي القلب" متفق عليه من حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنهما ؛البخاريّ(٥٢) ،ومسلم(١٥٩٩).

٢ـ عبادة الله- تعالى- نفسها نعمة من نعم الله –تعالى- ،وغذاء للقلب والروح ،وهي في الوقت نفسه شكر لله -تعالى- ؛ولذلك جاء في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا صلى من الليل قام حتى تتفطر قدماه" ،وفي رواية: "حتى تنتفخ قدماه "فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله؟ ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال:" يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا؟!".

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى- :(( نفس الايمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه ؛كما عليه أهل الايمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقول من يعتقد من أهل الكلام ونحوهم: إن عبادته تكليف ومشقة وخلاف مقصود القلب لمجرد الامتحان والاختبار، أو لأجل التعويض بالأجرة كما يقوله المعتزلة وغيرهم ؛ فإنه وإن كان فى الأعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس، والله ـ سبحانه ـ يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة ؛كما قال - تعالى- :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ ﴾ التوبة: ١٢٠ ، وقال -صلى الله عليه وسلم- لعائشة –رضي الله عنها- : " أجرك على قدر نصبك " ـ فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعيّ ،وإنما وقع ضمنًا ،وتبعا لأسباب ليس هذا موضعها ،وهذا يفسر فى موضعه.

ولهذا لم يجئ فى الكتاب والسنة ،وكلام السلف إطلاق القول على الايمان والعمل الصالح: أنه تكليف ؛كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة ،وإنما جاء ذكر التكليف فى موضع النفى ؛ كقوله –تعالى- : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦ ،﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾النساء: ٨٤ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾الطلاق: ٧ ؛أى: وإن وقع فى الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوسع، لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفًا، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه فى ذلك أبدًا. قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥)) ا.هـ من مجموع الفتاوى (١/ ٢٥).

[١٣] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وهذا يذكرنا بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : عجبا للمؤمن فإن أمره كله له خير ؛إن أصابته سراء شكر (والسراء : كل ما يسره من أمر الدين والدنيا) ،وإن أصابته ضراء صبر (والضراء: كل ما يقض مضجعه ،أو يؤلمه أو يحزنه من أمور يراها لغير مصلحته ؛كرجل مؤمن صبر ؛وليس ذلك إلا للمؤمن)"ا.هـ

استـــــــــتغفــــــر[14]،فإنَّ هـــــــؤلاء الثــــــــــلاث عُنـــــــوان السعـــــــادة[15].

---

قلت: وهو حديث صحيح رواه مسلم(٢٩٩٩) ،وغيره ،عن صهيب –رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :((عجبًا لأمر المؤمن ،إن أمره كله خير ،وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ،إن أصابته سراء شكر ،فكان خيرا له ،وإن أصابته ضراء ،صبر فكان خيرا له)).

١٤ قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وقوله -غفر الله له- : "وإذا أذنب استغفر" ؛فإن المغفرة هي على رأس الأدعية للمؤمن ؛حيث يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : "إني استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة " إلى غير ذلك مما جاء في الآيات؛ كقوله –تعالى- :﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ نوح: ١٠ - ١٣ "ا.هـ.

قلت : وهو حديث صحيح رواه مسلم(٢٧٠٢) وغيره عن الأغر المزنيّ –رضي الله عنه- ،وكانت له صحبة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،قال : "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة" وفي رواية عند أحمد (١٧٨٨٢) " حتى أستغفر الله مائة مرة".

"قال ابن الأثير: وقيل: الغين شجر مُلتف، أراد ما يغشاه من السهْو الذي لا يخلو منه البشرُ، لأن قلبه أبدًا كان مشغولا بالله –تعالى- ،فإن عرض له- وقتا ما- عارض بشرِي يُشغله من أمور الأمة والملّة ومصالحها، عدّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيفزع إلى الاستغفار "ا.هـ من شرح أبي داود للعينيّ (٥/ ٤٢٦) ط/ الرشد.

فإذا كان هذا حال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛فكيف بحال غيره؟! ؛فلذلك قال الشيخ –حفظه الله تعالى- : " فإن المغفرة هي على رأس الأدعية للمؤمن" ؛نسأل الله أن يغفر لنا أجمعين ،وأن يتوب علينا أجمعين.

١٥ لخلاصة المقدمة : أن ولاية الله –تعالى- لعبده ؛هي عنوان السعادة في الدنيا والآخرة ،وولايته –تعالى- لعبده تكون بنصرته –جل وعلا- للعبد ؛محبةً له ؛ في أحواله الثلاثة :حال السراء ،وحال الضراء ،وحال المعصية ،والاجتراء ؛فالأول بالشكر ،والثاني الصبر ،والثالث بطلب الغفر ،وهذه الثلاث عليها مدار العمل الصالح ؛وثمرته السعادة في الدنيا والآخرة ؛قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧.

وليتضح أمر هذه المقدمة جيدا لابد من نقل كلام الإمام ابن القيم -عليه رحمة الله- وفيه إيضاح وبيان ،وتفصيل ؛قال -رحمه الله- في مستهل كتابه الطيب "الوابل الصيب" :"بسم الله الرحمن الرحيم ،ولا حول و لا قوة الا بالله العليّ العظيم الله -سبحانه وتعالى- المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة ،وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ،وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر ،وإذا ابتلى صبر ،وإذا أذنب استغفر

؛فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد ،وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ،ولاينفك عبد عنها أبدًا ؛فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث:

الأول : نعم من الله- تعالى- تترادف عليه فقيدها الشكر ،وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنا والتحدث بها ظاهرا وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها ؛فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثاني :محن من الله- تعالى- يبتليه بها ففرضه فيها الصبر والتسلي والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه فمدار الصبر على هذه الاركان الثلاثة ؛فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوبا ؛فإن الله- سبحانه وتعالى- لم يبتله ليهلكه وانما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته فإن لله –تعالى- على العبد عبودية الضراء ، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما يحب وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ففيه تفاوت مراتب العباد وبحسبه كانت منازلهم عند الله –تعالى- ؛فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ونفقته في الضراء عبودية ولكن فرق عظيم بين العبوديتين فمن كان عبدا لله في الحالتين قائما بحقه في المكروه والمحبوب فذلك الذي تناوله قوله –تعالى- :﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾الزمر: ٣٦ ،وفي القراءة الأخرى {عباده} ،وهما سواء لأن المفرد مضاف فيعم عموم الجمع ؛فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة مع الناقصة ؛ فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان قال –تعالى-: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ الحجر: ٤٢ ،ولما علم عدو الله إبليس أن الله –تعالى- لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ص: ٨٢ - ٨٣ ،وقال –تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾سبأ: ٢٠ - ٢١ ؛فلم يجعل لعدوه سلطانا على عباده المؤمنين فإنهم في حرزه ، وكلاءته وحفظه وتحت كنفه وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل فهذا لا بد منه لأن العبد قد بلي بالغفلة ،والشهوة والغضب ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب.

وقد كان آدم أبو البشر -صلى الله عليه وسلم- من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا وأثبتهم ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه فما الظن بفراشة الحلم و من عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة ،وغفلة فيوقعه ويظن أنه لا يستقبل ربه -عز وجل- بعدها و أن تلك الوقعة قد اجتاحته ،وأهلكته وفضل الله –تعالى- ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله ؛فإذا أراد الله

بعبده خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجا إليه ودوام التضرع والدعاء و التقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به رحمته حتى يقول عدو الله يا ليتنى تركته ولم أوقعه! ؛وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار قالوا كيف قال يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب انفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.
ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه فإذا أراد الله –تعالى- بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه.
فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لايكلك الله –تعالى- إلى نفسك ،والخذلان أن يكلك الله –تعالى- إلى نفسك ؛فمن أراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجأ إلى الله –تعالى- والافتقار إليه ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده فالعارف سائر إلى الله –تعالى- بين هذين الجناحين لايمكنه أن يسير إلا بهما فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه ؛قال شيخ الإسلام : العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل ؛وهذا معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح من حديث بريدة -رضي الله تعالى- عنه : "سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي ؛إنه لايغفر الذنوب إلا أنت" ؛فجمع في قوله -صلى الله عليه وسلم - :" أبوء لك بنعمتك علي أبوء بذنبي" مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل ؛فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان ،ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت ؛وأن لايرى نفسه إلا مفلسا وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سببا يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها بل يدخل على الله –تعالى- من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه -عز وجل- وكمال فاقته وفقره إليه ،وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه -تبارك وتعالى- أنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله –تعالى- عليه ويتداركه برحمته ،ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى.
والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها : حب كامل ،وذل تام ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام وإذا كان

## {تمهيد}[١٦]

# اعــــلم- أرشـــدك الله- لطـــاعته أنَّ الحنيـــفية مـــلةَ إبراهــــيم[١٧]

---

العبد قد بنى سلوكه إلى الله –تعالى- على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة وما أسرع ما ينعشه الله -عز وجل- ويجبره ويتداركه برحمته"ا.هـ

١٦ وخلاصة التمهيد في بيان معنى الحنيفية ،والعبادة والتوحيد ،وبيان ضد ذلك ،وهو الشرك ليتحقق النفي والإثبات –وسيأتي بيان ذلك بإذن الله تعالى- .

١٧ قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :"اعلم- أرشدك الله- لطاعته أنَّ الحنيفية ملة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام- أن تعبدَ اللهَ وحدَه مخلصًا له الدين" الحنيفية من الحنف ،وهو الميل عن الشيء واجتنابه ؛كرهًا له ،وقد قال إبراهيم -عليه السلام- كما جاء في القرآن العظيم :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٣٦ "ا.هـ

وفي كلامه –حفظه الله - مسائل :

١ـ في معنى الحنيف ؛ قال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى- :" والحنيف : المقبل على الله ، المعرض عما سواه ، ومن فسره بالمائل ، فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ ، وإنما فسره بلازم المعنى . فإن الحنف: هو الإقبال ، ومن أقبل على شيء مال عن غيره ، والحنف في الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ، ويلزمها ميلها عن جهتها ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾الروم: ٣٠ ؛فحنيفًا: هو حال مفردة لمضمون قوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) ولهذا فسرت " مخلصًا " فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص ، فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره . والحنيف: المفرد لمعبوده ، لا يريد غيره . فالصدق أن لا ينقسم طلبك ، والإخلاص: أن لا ينقسم مطلوبك ، الأول: توحيد الطلب . والثاني: توحيد المطلوب ا.هـ من" جلاء الأفهام " ص٣٩١.

٢ـ الحنيفية فيها النفي والإثبات ؛كما في الكلمة الطيبة كلمة التوحيد ؛قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : " ... أن يكون القلب مقبلا على الحق والعلم والذكر، معرضا عن ذكر غير ذلك ؛وتلك هي الحنيفية دين إبراهيم - عليه السلام -، فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال على آخر، فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق، والكلمة الطيبة لا إله إلا هو"ا.هـ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٦).

٣ـ الحنيفية هي دين الأنبياء جميعًا ؛كما هو ظاهر جدّا في القرآن والسنة ؛بل هي الفطرة التي فطر الله – تعالى- الناس عليها ؛قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

---

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الروم: ٣٠ – ٣١ ،

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- : " وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: اقرؤوا إن شئتم {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وبحديث عياض بن حمار عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم" الحديث. وقد رواه غيره فزاد فيه: "حنفاء مسلمين "ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى :{فِطْرَتَ اللَّهِ} لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام" فتح الباري /ط السلفية (٣/ ٢٩٢).

٤ـ خُصّ الخليل –عليه الصلاة والسلام- بها ؛لأن الذين أرسل فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- سواء من اليهود ،أو من النصارى ،أو من مشركي العرب جميعهم يدعي النسبة لإبراهيم –عليه السلام- فإن كان الأمر كما يدّعون ؛فليتبعوا ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم- ؛فإنه عين ما جاء به إبراهيم -عليه السلام- ؛بل وسائر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- ؛قال الإمام شيخ المفسرين أبو جعفر الطبريّ –عليه الرحمة- : "وهذا خبر من الله -تعالى ذكره- عن أن من خالف إبراهيم فيما سن لمن بعده، فهو لله مخالف، وإعلام منه خلقه أن من خالف ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهو لإبراهيم مخالف. وذلك أن الله -تعالى ذكره- أخبر أنه اصطفاه لخلته، وجعله للناس إماما، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة. ففي ذلك أوضح البيان من الله -تعالى ذكره- عن أن من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الإمام الذي نصبه الله لعباده "ا.هـ جامع البيان ت شاكر (٣/ ٩١).

وقال أيضا :" احتج الله لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمدًا نبيّه -صلى الله عليه وسلم- ؛فقال: يا محمد، قل - للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك :"كونوا هودا أو نصارى تهتدوا" -: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به -فإن دينه كان الحنيفية المسلمة- وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك -على اختلافه- لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم "ا.هـ (٣/ ١٠٢). وارجع في كتب التفاسير إلى تفسيرهم الآيات التي صرح فيها ب"ملة إبراهيم" وهي سبعة مواضع :

في البقرة آية (١٣٠ - ١٣٥) ،وفي آل عمران آية (٩٥) ،وفي النساء آية (١٢٥) ،وفي الأنعام آية (١٦١) ،وفي النحل آية (١٢٣) ،وفي الحج الآية الأخيرة (٧٨).

٥ـ وهي حنيفية سمحة ؛قال ابن القيم –رحمه الله- :" وقد روى الإمام أحمد فى مسنده عنه -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- : "بُعِثْتُ بِالْحنِيفِيَّةِ السمْحِةِ" ؛فجمع بين كونها حنيفية ،وكونها سمحة ؛ فهى حنيفية فى التوحيد، سمحة فى العمل ،وضد الأمرين: الشرك، وتحريم الحلال، وهما اللذان ذكرهما النبيّ -صلى الله تعالى

أن تعبدَ اللَّهَ وحدَه مخـــــلصًا له الدين[18] ،كما قال –تعالى- :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

عليه وآله- فيما يروى عن ربه- تبارك وتعالى- أنه قال:" إِنِى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ وَإِنّهُمْ أَتَتْهُمُ الشّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بى مَا لَمْ أُنَزلْ بِهِ سُلْطَاناً" ؛فالشرك وتحريم الحلال قرينان. وهما اللذان عابهما الله –تعالى- فى كتابه على المشركين فى سورة الأنعام والأعراف "ا.هـ إغاثة اللهفان (١/ ١٥٨) ط المعارف/ت الفقي.

وقال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب –رحمهم الله تعالى - :" الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل" ا.هـ تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٩٣)ط/المكتب الإسلاميّ.
فقد كان يجوز لمن كان قبلنا السجود لغير الله تعالى تحية ؛كما في قصة يوسف -عليه السلام- ،وجازت التماثيل لبعضهم ؛كما كان لسليمان -عليه السلام- ،وكل ذلك ممتنع في ديننا ،فقد سدت كل وسائل وذرائع الشرك ،وأما عن اليسر والسماحة في العمل فأمر كالشمس في رائعة النهار ،لهذه الأمة المرحومة المرفوع عنها الآصار والأغلال.
٦ـ قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- : "وليس يلزم من كونه –عليه الصلاة السلام- أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها ؛لأنه- عليه الصلاة السلام- قام بها قياما عظيما ،وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ؛ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق ،وصاحب المقام المحمود الذي يرهب إليه الخلق ؛حتى إبراهيم الخليل -عليه السلام- "ا.هـ تفسير ابن كثير - ط/طيبة (٣/ ٣٨١).
[18] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وقوله -رحمه الله- : " أن تعبدَ اللَّهَ وحدَه مخلصًا له الدين" ،وذلك من قوله- تعالى- :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ ﴾ الزمر: ٢ - ٣
وهذا بيان واضح ،وإشارة كاشفة إلى أن الله – سبحانه وتعالى- لا يقبل الدين المخلوط ؛كما نرى بعض الدعاة يخلطون بين الحق وغير الحق ؛ولكن أهل السنة الخلص لا يفعلون ذلك "ا.هـ
وفي كلامه –حفظه الله – مسائل :
١ـ أن كلام الإمام المجدد مقتبس من الآية الكريمة ،وهذا ظاهر جدًّا في مؤلفات الإمام –رحمه الله- ومؤلفات غيره من أئمة أهل السنة والجماعة ،وهذا بيان أن كلام أهل السنة والجماعة لا يخرج عن مشكاة النبوة تصريحا أو تلميحًا "وكل إناء بما فيه ينضح".
٢ـ تفسير آية سورة الزمر ؛ قال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية الكريمة من أول سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ الزمر: ٢ أي: فاعبد الله وحده

﴿ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦ [19] . فـإذا عرفــــتَ أنَّ الله

---

لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له ،وقال قتادة في قوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون:﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسديّ ،ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: {إلا ليقربونا إلى الله زلفى} أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: "لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك".

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- ، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾النحل: ٣٦ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ،وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه،﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾النحل: ٧٤ ، تعالى الله عن ذلك "ا.هـ

٣ـ مراد الشيخ –حفظه لله تعالى- في هذا التعليق أن هذه الأهواءَ منافيةٌ لخلوص الدين -لله تعالى- ؛كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- :" والقرآن كله يدل على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم ،وأنها عبادة الله وحده ،والبراءة من الشرك. وعبادته –سبحانه- إنما تكون بما أمر به وشرعه، وذلك يدخل في الحنيفية. ،ولا يدخل فيها ما ابتدع من العبادات، كما ابتدع اليهود والنصارى عبادات لم يأمر بها الأنبياء، فإن موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعهم كانوا حنفاء بخلاف من بدل دينهم فإنه خارج عن الحنيفية. وقد أمر الله أهل الكتاب وغيرهم أن يعبدوه مخلصين له الدين حنفاء، فبدلوا وتصرفوا من بعد ما جاءتهم البينة ،وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم "ا.هـ جامع المسائل ط/عالم الفوائد (٥/ ١٧٩).

[19] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "البعض يفهم من الآية الكريمة أن الإنسان المثاليّ –في تصورهم- هو الذي يمتاز بسطحية العلم ،مع كثرة العبادة ؛يقضي وقته كلَّه أو أغلبَه في العبادة في المساجد أو البيوت ؛ولكن

الأمر غير ذلك ،بل العبادة تشمل -عند المسلم الحق- تشمل الحياة كلَّها ؛قال –تعالى- :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ ،فإن الإسلام ليس مجرد طاعات متفرقة ،أو أذكار متفرقة ؛ولكنه صبغة ؛قال –تعالى- :﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة: ١٣٨ "ا.هـ.

وفي كلامه –حفظه الله – مسائل :

١ـ اغترار الناس بعبادة العباد ،وزهادة الزهاد دون نظر إلى حقيقة أمرهم ،وموافقتهم السنةَ من عدمها!؛ وهذا سلوك قد ضل به كثير من الخلق ؛ولذلك يحرص أهل البدع على إظهار هذه الأمور يخدعون به السذج من العوام ؛عن علي بن أبي خالد قال: قلت لأحمد: إن هذا الشيخ -لشيخ حضر معنا- هو جاري وقد نهيته عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه :حارث القصير -يعني حارثا المحاسبيّ- وكنتَ رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلت لي: لا تجالسه، ولا تكلمه. فلم أكلمه حتى الساعة. وهذا الشيخ يجالسه، فما تقول فيه؟ فرأيت أحمد قد احمر لونه ،وانتفخت أوداجه وعيناه. وما رأيته هكذا قط. ثم جعل ينتفض، ويقول: ذاك؟ فعل الله به وفعل. ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه، أويه، أويه، أويه. ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه. ذاك جالسه المغازليّ ،ويعقوب ،وفلان ؛فأخرجهم إلى رأي جهم. هلكوا بسببه ؛فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله، يروي الحديث، ساكن خاشع ،من قصته ومن قصته؟ فغضب أبو عبد الله، وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه، ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه. فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره. لا تكلمه، ولا كرامة له. كل من حدث بأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان مبتدعا تجلس إليه؟ لا، ولا كرامة، ولا نعمى عين. وجعل يقول: ذاك. ذاك "ا.هـ طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

٢ـ الجهل سبب كل شر وضلال ؛قال شيخ الإسلام –رحمه الله- : " وكذلك النبي-صلى الله عليه و سلم- لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي الرواية الأخرى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" ؛فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته ليتميز عليه أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم.

ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا.

والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " ا.هـ اقتضاء الصراط المستقيم تـ الفقي (ص: ٣٧).

٣ـ ولذلك كان فضل العالم على العابد -هذا لو كان عابدا بحق غيرَ مبتدع ؛فكيف إذا كان مبتدعًا ؟!- ؛عن أبي أمامة الباهليّ - رضي الله عنه - قال: ذكر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلان أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فضل العالم على العابد ، كفضلي على أدناكم ،إن الله ، وملائكته ، وأهل السموات ، والأرضين ، حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير" رواه الترمذيّ (٢٦٨٥) ،وغيره وصححه الألبانيّ في صحيح الجامع:(١٨٣٨).

٤ـ العبادة ليست قاصرة على شعائر معينة ؛بل العبادة هي الدين كله عقيدة وسلوكا وأخلاقا ومعاملة ،فهناك عبادات باللسان وهناك عبادات بالجنان وهناك عبادات بالجوارح والأركان ؛ولذلك عرفها شيخ الإسلام -رحمه الله- بقوله :"" العبادة " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه. وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه؛ والتوكل عليه؛ والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وبها أرسل جميع الرسل ... ثم قال في آخر الحديث:{ هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم} فجعل هذا كله من الدين. و " الدين " يتضمن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان أي: ذللته فذل ويقال يدين الله ويدين لله أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له"ا.هـ مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

٥ـ تفسير آية الأنعام ؛قال الإمام السعديّ –رحمه الله- :" يأمر تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم-، أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين.

وهذا عموم، ثم خصص من ذلك أشرف العبادات فقال: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى.

ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله. وقوله: {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله عليَّ، وما يقدر عليَّ في مماتي، الجميع {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {لا شَرِيكَ لَهُ} في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعا مني، وبدعا أتيته من تلقاء نفسي، بل {بِذَلِكَ أُمِرْتُ} أمرا حتما، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} من هذه الأمة"ا.هـ

خلقــــك لعبـــادته، فاعـــلم أن العبـــادةَ لا تـــسمى عبـــادة [٢٠] إلا مع التوحيـــدِ [٢١]؛ كـــما أن الصـــلاةَ لا تـــسمى صـــلاةً إلا مع

٦ـ تفسير آية البقرة ؛قال الإمام البغويّ –رحمه الله- :" قوله تعالى: {صبغة الله} قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب ،وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله، وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، قال ابن عباس هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعموديّ ،وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء يعني الزموا دين الله، قال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم {ومن أحسن من الله صبغة} دينا وقيل: تطهيرا {ونحن له عابدون} مطيعون "ا.هـ

[٢٠] ليس المطلوب هو العبادة ؛بل المطلوب هو التوحيد في العبادة ،وإلا فقد كان المشركون يعبدون الله ويعبدون معه سواه ؛قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦ ،وقال-جل وعز- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥ ؛بل كانوا يخلصون له في الشدائد ؛كما سيأتي- إن شاء الله- في القاعدة الرابعة والأخيرة.

قال الشيخ العلامة أبوبطين –رحمه الله- : " إذا عرف ذلك، فتوحيد العبادة، هو: إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعًا ؛ ليس أحدهما دون الآخر؛ ولهذا قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة، فمعناه التوحيد؛ وهذا: هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وأما العبادة من حيث هي، فهي أعم من كونها توحيدًا عمومًا مطلقًا ، فكل موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحدًا ؛ ولهذا يقال عن المشرك: إنه يعبد الله، مع كونه مشركًا ،كما قال الخليل -صلى الله عليه وسلم- : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الشعراء: ٧٥ - ٧٧ ،وقال -عليه السلام- : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٧ ،فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم، فدل على أنهم يعبدون الله ؛فإن قيل: ما معنى النفي في قوله –سبحانه - : ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ الكافرون: ٣ ،قيل: إنما نفى عنهم، الاسم الدال على الوصف، والثبوت؛ ولم ينف وجود الفعل، الدال على الحدوث، والتجدد؛ وقد نبه ابن القيم، -رحمه الله تعالى- ، على هذا المعنى اللطيف، في بدائع الفوائد..." ا.هـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٩١).

[٢١] تعريف التوحيد ،وبما يتحقق ،وما أنواعه؟.

الطـــــهارةِ ؛فإذا دخــــلَ الشـــــركُ (٢٢) في العــــــبادةِ ؛فســـــدت

---

أما تعريفه ؛ فقد قال الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفيّ –رحمه الله- : " التّوحيد لغة: جعل المتعدّد واحدًا، ويُطلق على اعتقاد أن الشيء واحد متفرد، ويطلق شرعًا على تفرّد الله بالربوبية والألهية، وكل الأسماء والصفات" ا.هـ مذكرة التوحيد (ص: ٣).

وأما ما يتحقق به ؛فقد قال الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز –رحمه الله- : " التوحيد لغة مصدر وحد يوحد أي جعل الشيء واحدا وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلا نقول إنه لا يتم التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل ويثبتها لله وحده وذلك أن النفي المحض تعطيل محض والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم..." ا.هـ فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص: ٣).

وأما أنواع التوحيد ؛فقد قال العلامة سليمان آل الشيخ –رحمه الله- : " و (التوحيد) : مصدر وحد يوحد توحيدًا، أي: جعله واحدًا، وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب. وإن شئت قلت: التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات ـ وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ـ، وتوحيد في الطلب والقصد؛ وهو توحيد الإلهية والعبادة. ذكره شيخ الإسلام، وابن القيم وذكر معناه غيرهما" ا.هـ تيسير العزيز الحميد (ص: ١٧).

[٢٢] تعريف الشرك ،وبيان أنواعه ؛قال الإمام المجدد –رحمه الله- : " الشرك :هو جعل شريك لله -سبحانه وتعالى- في ربوبيته وإلهيته ،والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره ،أو يصرف له شيئا من أنواع العبادة كالذبح لغير الله أو النذر أو الخوف أو الدعاء، والشرك نوعان:

الأول: شرك أكبر يخرج من الإسلام يخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كدعاء غير الله والتقرب بالذبح والنذر لغير الله من القبور والجن والخوف من الموتى أو الجن أن يضروه أو يمرضوه - ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يفعل الآن حول قبور الصالحين وغيرهم وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾يونس: ١٨ .

والنوع الثاني : شرك أصغر لا يخرج من الإسلام لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر ،وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر وهو ألفاظ وأفعال فالألفاظ كالحلف بغير الله قال -صلى الله عليه وسلم- : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» صحيح رواه أبو داود وغيره ونحو قوله " ما شاء الله وشئت "، قال -صلى الله عليه وسلم-: «لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت فقال -صلى الله عليه وسلم- : " أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده» ونحو قوله : لولا الله وفلان، والصواب أن يقول: لولا الله ثم فلان، وما شاء الله ثم فلان.

؛كالحــــدث إذا دخــــل في الطــــهارة[٢٣].

فإذا عرفتَ أنَّ الشــركَ إذا خــالطَ العــبادةَ أفسدها ،وأحبط العــملَ[٢٤]

---

وأما الأفعال مثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفا من العين وغيرها، هذا إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعل هذه أسباب، وأما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر:

شرك خفيّ : وهو الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة كأن يعمل عملا مما يتقرب به إلى الله –تعالى- يريد به ثناء الناس عليه كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، والرياء إذا خالط العمل أبطله قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ ،وقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم- : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: " الرياء» صحيح رواه أحمد وغيره "ا.هـ الكبائر لابن عبد الوهاب (ص: ٢٦).

[٢٣] عن أبي هريرة - رضي الله عنه– قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ "متفق عليه البخاريّ (٦٥٥٤) ،ومسلم (٢٢٥).

وعن ابن عمر-رضي الله عنها- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » مسلم (٢٢٤).

والحدث نوعان = أكبر ،وأصغر ؛وكلاهما ناقض للطهارة ،مبطل للصلاة ،والأكبر يغسل منه "جميع البدن" ،وأما الأصغر ؛فتغسل منه "الأعضاء الأربعة فقط" ؛كما أن الشرك نوعان = أكبر ،وأصغر ؛وكلاهما محبط للعمل ؛غير أن الأكبر محبط "لجميع العمل" ؛والأصغر محبط "لبعضه ؛وهو العمل المقارن فقط" ؛فتأمل قياس الشيخ الإمام -رحمه الله تعالى-.

[٢٤] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "أفسدها ؛إن كان الشرك الأصغر ،وأحبطها ؛إن كان الشرك الأكبر ؛قال –تعالى- :﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ - ٦٦."ا.هـ

وفي كلامه –حفظه الله – مسائل :

١ـ فيه التفريق بين الشرك الأكبر ،والأصغر ،وأثر كل منهما ؛انظر ما سبق في تعريف الشرك ،وبيان أنواعه.

٢- قوله- حفظه الله- :" أفسدها ؛إن كان الشرك الأصغر" ؛أي :أفسد العبادة التي اقترن بها الشرك الأصغر ؛دون سائر العمل ؛إلا إن كان الشرك الأكبر فإنه يحبط جميع العمل ؛ولذلك قال بعدها :" وأحبطها ؛إن كان الشرك الأكبر".

٣ـتفسير آية سورة الزمر ؛قال الإمام البغويّ –رحمه الله تعالى- :" قوله -عز وجل- : {قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} ؟ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه...{ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك} الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول -صلى الله عليه

وصار صاحبُه مـــن الخالـــدينَ في النارِ، عرفتَ أنَّ أهمَّ ما عليك معــــرفةُ ذلك[٢٥]

وسلم-، والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله -عز وجل- لنبيه-صلى الله عليه وسلم-، وتهديد لغيره ؛لأن الله –تعالى- عصمه من الشرك "ا.هـ

وقال الإمام السعديّ –رحمه الله- : " {قُلْ} يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله -تعالى- الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصًا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك.

وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال، ولهذا قال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} من جميع الأنبياء. {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام - لما عدد كثيرا من أنبيائه ورسله قال عنهم: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

{وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال.

ثم قال: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، {وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لله على توفيق الله –تعالى-، فكما أنه –تعالى- يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله -تعالى- والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر" ا.هـ

[٢٥] أي :معرفة التوحيد الذي به النجاة ؛فتعمل به وبمقتضاه ،مع معرفة الشرك الذي به الهلكة ؛فتجتنبه وتتوقاه.

وهو أول واجب على العباد ؛قال العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب –رحمهم الله تعالى- :"وفيه دليل على أن التوحيد - الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه - هو أول واجب. ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل - عليهم السلام - {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ١ وقال نوح: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} وفيه معنى "لا إله إلا الله" مطابقة.

قال شيخ الإسلام : "وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلي الله عليه وسلم، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلما، والعدو وليا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال. ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الايمان وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الايمان، قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنا وظاهرا، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء" اهـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٤) ت/الفقي.

وقال أيضا –رحمه الله- عند قوله صلى الله عليه وسلم- :" فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله– وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله–" ؛قال –رحمه الله- :"وفيه دليل أن توحيد

،لعل الله أن يخلصك من هذه الشـــبكة[٢٦] ، وهي الشـــرك بالله [٢٧]، الذي قال الله -تعالى- فيه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن

العبادة هو أول واجب؛ لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام. وأما قول المتكلمين ومن تبعهم: إن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال فذلك أمر فطريّ فطر الله عليه عباده. ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} أي لا تعبدوا إلا الله، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} ، وقال تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} ، قال العماد ابن كثير - رحمه الله تعالى - : هذا يحتمل شيئين : أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروريّ في الفطر السليمة "والمعنى الثاني ": أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات، فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى" اهـ كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين (ص: ٣٧) ط/المؤيد ـ السعودية.

٢٦ (الشبك) = الخلط والتداخل ومنه (تشبيك) الأصابع...،و(الشبكة) التي يصاد بها وجمعها (شباك) ،و(اشتبك) الظلام اختلط "ا.هـ مختار الصحاح.

و استعمال الإمام –رحمه الله- هذه اللفظة "الشبكة" ؛فيه فوائد:

١ـ بيان تداخل ،واختلاط ،وكثرة أنواع الشرك "قولا ،وفعلا ،واعتقادا" .

٢ـ بيان أن الشرك يختلط بالعبادات ،ويتداخل فيها ؛فيفسدها ويحبطها.

٣ـ أن الشرك هو الآلة التي يصيد بها الشيطان من اتبعه من الغاوين ؛فيهلكهم!.

٤ـ أن هذه الشبكة ظلمات بعضها فوق بعض ،وأنها تخرج العبد من النور إلى الظلمات.

٢٧ "فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ التوبة: ١٧ ؛فمن دعا غير الله، طالبا منه ما لا يقدر عليه إلا الله، من جلب خير، أو دفع ضر، فقد أشرك في عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ - ٦ ،وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٣ – ١٤ ؛فأخبر -تبارك وتعالى- أن دعاء غير الله شرك ،فمن قال: يا رسول الله! أو: يا عبد الله بن عباس: أو: يا عبد القادر، أو: يا محجوب! زاعمًا أنه يقضي حاجته إلى الله –تعالى- ،أو أنه شفيعه عنده! أو وسيلته إليه، فهو الشرك الذي يهدر

﴿يَشَآءُ﴾ النساء: ٤٨ [٢٨]،وذلك بمعرفة أربـــع قواعـد ذكــــرها الله –تعالى- في

الدم، ويبيح المال، إلا أن يتوب من ذلك؛ وكذلك من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو توكل على غير الله، أو رجا غير الله، أو التجأ إلى غير الله، أو استغاث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو أيضا شرك.

وما ذكرنا من أنواع الشرك ؛فهو الذي قال الله فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ النساء: ٤٨ ،وهذا الذي قاتل عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشركي العرب، وأمرهم بإخلاص العبادة لله "ا.هـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٦).

٢٨ تفسير الآية الكريمة ؛قال الشيخ السعديّ –رحمه الله- :" يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة {مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}"ا.هـ.

وقال شيخ المفسرين ابن جرير الطبريّ –رحمه الله- :" وإن الله لا يغفر أن يشرك به، فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام...{ثم أخرج بسنده}عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ لا نشك في قاتل النفس، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية :"إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"، فأمسكنا عن الشهادة)).

وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركا بالله."ا.هـ

قال الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله بعد تضعيف أثر ابن عمر –رضي الله عنهما :" ومعناه ثابت عن ابن عمر من روايات أخر ؛ففي الدر المنثور ٢: ١٦٩"أخرج ابن الضريس، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن عدي - بسند صحيح، عن ابن عمر، قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا -صلى الله عليه وسلم- : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال: إني ادخرت دعوتي، شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ثم نطقنا بعد ورجونا". وذكره الهيثميّ في مجمع الزوائد ٧: ٥، وقال: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير حرب بن سريج، وهو ثقة".

كـــــتابه[٢٩]: {القواعد الأربع}

**القاعدة الأولى**: أن تعلم أن الكـــــفار الذين قـــاتلهم[٣٠] رســـول الله

---

وفي مجمع الزوائد ١٠: ٢١٠ - ٢١١"عن ابن عمر، قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر، حتى سمعنا نبينا -صلى الله عليه وسلم- يقول :(إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال: أخرت شفاعتي لأهل الكبائر يوم القيامة. رواه البزار، وإسناده جيد". وهو نحو الذي قبله.

وفيه أيضا روايات بهذا المعنى عن ابن عمر ١٠: ١٩٣" ا.هـ تفسير الطبريّ /ت شاكر (٨/ ٤٤٨) وما بعدها.

[٢٩] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : " علق المصنف -رحمه الله- الخلاص من شبكة الشرك على قواعد أربع "ا.هـ ؛قلت : يعني-حفظه الله- ؛فيجب تعلمها ،وتعليمها ،ودعوة الناس من خلالها.

[٣٠] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "قاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعقيدتهم الشركية ،ورفضهم قبول التوحيد بعد قيام الحجة عليهم "ا.هـ

وفي كلامه –حفظه الله – مسألتان :

١ـ قتال المشركين عند القدرة والاستطاعة دفعًا ،وطلبًا ؛ قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمه الله- :"ولهذا الأصل العظيم الذي هو ملة إبراهيم شرع الله جهاد المشركين فقال {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} وفي الحديث "بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له"..."ا.هـ المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص: ٢٨١).

وقال العلامة الفوزان –حفظه الله- : "كل هذا يدل على أن الشرك أعظم الذنوب، وإذا كان الشرك أعظم الذنوب فإنه يجب على العلماء والمتعلمين النهي عنه والتحذير منه، وألا يسكتوا عن التحذير من الشرك، وأنه يجب جهاد المشركين مع القدرة كما جاهدهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" ا.هـ شرح ثلاثة الأصول له (ص: ٨٦) ط/ الرسالة.

وقال الإمام ابن باز –رحمه الله- :" الجهاد: جهادان: جهاد طلب، وجهاد دفاع، والمقصود منهما جميعًا هو تبليغ دين الله ،ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإعلاء دين الله في أرضه، وأن يكون الدين كله لله وحده ؛كما قال -عز وجل- في كتابه الكريم في سورة البقرة : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} وقال في سورة الأنفال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} وقال -عز وجل- في سورة التوبة: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقال النبيّ - صلى الله عليه وسلم- : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله –عز وجل–» متفق على صحته من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم- قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وفي صحيح مسلم عنه أيضا - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » .

وفي صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعيّ -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله –عز وجل-» ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين ،وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام، وإصرارهم على الكفر، حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم- ويتبعوا ما جاء به، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهي تعم جهاد الطلب، وجهاد الدفاع، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها، عملا بقول الله عز وجل: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} "ا.هـ مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٤٣٦) وما بعدها.

٢ـ اشتراط قيام الحجة وبيان المحجة ؛قال شيخ الإسلام –رحمه الله- :" وأيضا فإن الكتاب والسنة قد دلّا على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسًا ،ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية"كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٣).

وقال أيضا كما في السابق (٢٠/ ٣٢) :" ما لم يشرع جنسه مثل الشرك فإن هذا لا ثواب فيه ،وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة كما قال تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} لكنه وإن كان لا يعذب فإن هذا لا يثاب بل هذا كما قال تعالى: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا} قال ابن المبارك: هي الأعمال التي عملت لغير الله. وقال مجاهد: هي الأعمال التي لم تقبل. وقال تعالى: {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح} الآية فهؤلاء أعمالهم باطلة لا ثواب فيها "ا.هـ

وقال الإمام ابن القيم- رحمه الله- : "إنَّ العذاب يُستحقُّ بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأمّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل "ا.هـ طريق الهجرتين (ص:٥٤٦).

-صلى الله عليه وسلم- مُقِـــرُّون بأنَّ الله –تعالى- هو الخــالق المـــدبر[31]،

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١٢٠٦هـ) : "وأمَّا الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنَّا نكفِّر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنَّا نكفِّر مَن لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكلُّ هذا من الكذب والبهتان الذي يصدُّون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنَّا لا نكفِّر مَن عبَد الصنمَ الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم مَن ينبِّهم، فكيف نكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم".ا.هـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٤).

وارجع إلى كتاب العبادة للمعلميّ اليمانيّ –رحمه الله- ،و شرح كشف الشبهات للعلامة العثيمين –رحمه الله- ،و"العذر بالجهل عند أئمة الدعوة" لرشيد عويش ؛قرأه وحث على نشره العلامة ربيع بن هادي –حفظه الله- ،وغير ذلك من كتب أهل العلم وبالله التوفيق.

[31] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وهو ما أطلق عليه أهل السنة -بالاستقراء- توحيد الربوبية ؛قال- تعالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الزخرف: ٩ ،وغيرها من الآيات "ا.هـ

وفي كلامه –حفظه الله – مسألتان :

١ـ معنى الاستقراء = (الاستقراء) تتبع الجزئيات للوصول إلَى نتيجة كُلية "ا.هـ المعجم الوسيط.

وقد دلّ استقراء القرآن الكريم -عند السلف- أن توحيد الله -عز وجل- ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- : "هذا التقسيم الاستقرائيّ لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبريّ وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيديّ في تاج العروس وشيخنا الشنقيطيّ في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء" التحذيرات من مختصرات الصابونيّ في التفسير (ص٣٠).

ومن السلف - رحمهم الله- من يقسم التوحيد إلى قسمين : فيجعل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات قسما واحدًا يسميه بـ (توحيد المعرفة والإثبات) ، ويسمي توحيد الألوهية (توحيد الطلب والقصد) ،ومن السلف الذين نقل عنهم تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام : الإمام أبو حنيفة ،وأبو جعفر الطحاويّ ،وابن بطّة ،والمقريزيّ وغيرهم ؛انظر كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص٣٤ وما بعدها د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر-حفظهما الله تعالى- .

وفيه ردٌّ على أصحاب توحيد الحاكمية "خوارج العصر" من الإخوان والقطبيين وأتباع كلٍّ ؛سئل العلامة العثيمين –رحمه الله- :" ما تقول فيمن أضاف للتوحيد قسماً رابعاً وسماه توحيد الحاكمية؟

وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام[٣٢].

---

فقال :الجواب : نقول: إنه ضال وجاهل؛ لأن توحيد الحاكمية هو توحيد الله عز وجل، فالحاكم هو الله عز وجل، فإذا قلت: التوحيد ثلاثة أنواع كما قاله العلماء: توحيد الربوبية فإن توحيد الحاكمية داخل في توحيد الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الحكم والخلق والتدبير لله عز وجل، وهذا قول محدث منكر، وكيف توحيد الحاكمية ما يمكن أن توحد هذه؟ هل معناه: أن يكون حاكم الدنيا كلها واحد أم ماذا؟ فهذا قول محدث مبتدع منكر ينكر على صاحبه، ويقال له: إن أردت الحكم فالحكم لله وحده، وهو داخل في توحيد الربوبية؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر للأمور كلها، فهذه بدعة وضلالة "ا.هـ من لقاء الباب المفتوح.

٢ـ تفسير آية سورة الزخرف ؛قال الإمام البغويّ –رحمه الله- :" ولئن سألتهم، أي سألت قومك، من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ! "ا.هـ.

وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله- : "يقول –تعالى- :ولئن سألت -يا محمد- هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: {من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم} أي: ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله -تعالى- وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد " ا.هـ.

٣٢ قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "فمع إيمانهم بالخلق والتدبير والملك والرزق ،وأن ذلك كله من الله وحده ،فمع توحيدهم في الربوبية ؛لم يدخلهم ذلك في الإسلام ،بل وقد كانوا يعبدون الله ،ولكن يعبدون معه غيره ؛وهذا هو الشرك الذي قاتلهم عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- "ا.هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- :"وهذا باب واسع، وكل من كان به أعرف، إذا عرف ما جاءت به الرسل، وعرف ما في القرآن من التوحيد العظيم، والعناية العظيمة بذلك، ومذمة الشرك على اختلاف أنواعه؛ عرف بعض قدر ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- ،وتبين له كثرة الشرك في بني آدم، الذين لا يعرفون، بل يظنون أن العرب كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شاركت الله في الخلق، وهذا من غاية الجهل والكذب بمن يظنه بهم، وذلك لأن الشرك الذي كانوا فيه قد وقع هو وأمثاله في نوع منه، وهو لا يعرف أنه الشرك، يعتقد أن التوحيد هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، لم يشاركه في الخلق أحد، فهذا عنده غاية التوحيد، كما تجد ذلك في كلام كثير من الناس من متكلميهم ،وعبّادهم، فإذا رأى هذا هو التوحيد؛ كان الشرك عنده ما يناقض ذلك.

وقد علم بالتواتر، وإجماع المسلمين، ونص القرآن،: أن العرب كانوا مشركين، وأن النبيّ - صلى الله عليه وسلم- دعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، وكان هذا من أعظم أسباب معاداتهم له، ولمن آمن به، فيظن هذا الذي لم يعرف حقيقة الأمر، أن ذلك الشرك، أنهم جعلوا آلهتهم شركاء لله في خلق السموات والأرض، وإنزال المطر، وخلق النبات، ونحو ذلك.

ولو كان هذا يفهم القرآن، ويعرف ما كانت عليه العرب، ويعرف التوحيد، والشرك؛ لتبين له أن ما يقرُّ به من التوحيد كان المشركون يقرّون به أيضًا، وهم مع هذا مشركون؛ حيث أحبّوا غير الله كما يحبّون الله، وحيث دعوا غير الله، وجعلوه شفيعًا لهم، وحيث عبدوا غير الله يتقربون بعبادته إلى الله، فهذا وأمثاله كان شركهم،

والدليل قوله –تعالى- : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١ [٣٣].

---

مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالق غيره، ولهذا قال عمر بن الخطاب: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

فمعرفة المسلم بدين الجاهلية هو مما يعرفه بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويعرف الفرق بين دين المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخلاص، أتباع الأنبياء، ودين غيرهم، ومن لم يميّز بين هذا وهذا فهو في جاهلية، وضلال، وشرك، وجهل، ولهذا ينكر هؤلاء ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، من إخلاص الدين لله، إذ ليست لهم به خبرة من جهة النقل، ولا لهم فهم في القرآن، يعرفون به توحيد القرآن، ولا لهم معرفة بحقيقة الايمان والتوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فليس لهم علم لا بالقرآن، ولا بالايمان، ولا بأحوال الناس، وما نقل من أخبارهم، ومعرفة هذا من أهم الأمور، وأنفعها، وأوجبها، وهذه جملة لها بسط، مضمونها: معرفة ما بعث الله به الرسول، وما جاء به الكتاب والسنة.

وهؤلاء المشركون على اختلاف أصنافهم، كلّهم عاقبتهم عاقبة سوء في الدنيا والآخرة، فإن الشياطين مقصودهم إضلالهم، وإغواؤهم، فيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، ويخبرونهم بأكاذيب كما يفعلون بالسحرة والكهان، ولهذا يقترنون بأهل الكذب، والفجور، قال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ • تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢] " ا.هـ قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والايمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص: ١٣٨) ط/دار العاصمة.

[٣٣] تفسير آية سورة يونس ؛قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- :"يحتج -تعالى- على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانيته الإلهية ؛ فقال: {قل من يرزقكم من السماء والأرض} أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته، فيخرج منها {حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا} [عبس: ٢٧ -٣١] ، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله، {أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه} [الملك: ٢١] ؟، وكذلك قوله: {أمن يملك السمع والأبصار} [يونس: ٣١] ؟ أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: {قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون} [الملك: ٢٣] ، وقال {قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به} [الأنعام: ٤٦] .

وقوله: {ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي} أي: بقدرته العظيمة، ومنته العميمة...وقوله: {ومن يدبر الأمر} أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، {يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن} [الرحمن: ٢٩] ، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون

**القاعدة الثانية**: أنهم يقولـــون: ما دعــــوناهم وتوجـــهنا إليهم إلا لطلـــب القربة ،والشـــفاعة(٣٤) ؛ فدليــــل القــــربة قــــوله –تعالى- :

---

لديه، {فسيقولون الله} أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، {فقل أفلا تتقون} أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

وقوله : {فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون} أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، {فماذا بعد الحق إلا الضلال} أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

{فأنى تصرفون} أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟ "ا.هـ.

وخلاصة القاعدة الأولى ؛

١ـ أن الإقرار بالربوبية –وحدها- غير كاف حتي يفرد الله -تعالى- بالألوهية وحده لا شريك له.

٢ـ ضلال من فسر التوحيد بقصره على إثبات الصانع! ،أو وجوده ،كما يصنعه المتكلمون والصوفية وأتباعهم.

٣ـ أن المشركين الأولين كانوا يعلمون معنى "لا إله إلا الله" بخلاف المتأخرين منهم ؛"فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام" ؛قاله المصنف-رحمه الله- في كتابه الفريد "كتاب التوحيد".

٣٤ قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "وقول المصنف –رحمه الله تعالى- في هذه القاعدة الثانية يبين أن هدف المشركين الرئيس في دعاء الموتى من دون الله- ودون هنا غير أو أدنى- أن هدفهم هو الاقتصار على الوساطة بينهم وبين الله -تعالى- وما كانت حجتهم إلا تقليد الأباء ؛قال –تعالى- :﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣ ،وقال -تعالى- :﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الصافات: ٦٩ - ٧٠

زاعمين أن الله لا يقبل دعاءهم هم ، ويقبل من الذين اتخذوهم وسطاء ،وشفعاء لاعتقادهم الصلاح فيهم ؛وإن منهم من ليس بصالح في الحقيقة.

وهذا منهم قياس على المخلوقين ؛أنه لابد بين الملوك ورعاياهم من وزراء ووسطاء وشفعاء!!وهذا ضلال مبين ولله المثل الأعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "ا.هـ.

وفي كلامه –حفظه الله- مسائل :

١ـ اتخاذ الوسائط شرك أكبر ،وهو ناقض من نواقض الإسلام ؛قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :" من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عبّاد الأوثان ، كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وأنها وسائل يتقربون بها إلى الله ، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى "ا.هـ مجموع الفتاوى (١٣٤/١ ، ١٣٥).

وقال الإمام ابن عبد الوهاب في نواقض الإسلام :" الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا "ا.هـ.

٢ـالذي يحملهم على ذلك هو أنهم يحبون هذه الوسائط كحب الله أو أشد حبًا ؛قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- :"يذكر- تعالى- حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك".

وقوله: {والذين آمنوا أشد حبا لله} ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه "ا.هـ.

٣ـ وكما أن أصل العبادة المحبة ،فالشرك في المحبة أصل الشرك قال شيخ الإسلام ابن تيمية –عليه الرحمة- : فدعاء إله آخر مع الله هو اتخاذ ند من دون الله يحبه كحب الله إذ أصل العبادة المحبة " ا.هـ جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم (٢/ ٢٦١).

وقال أيضا :" ومما يبين ذلك أن أصل العبادة هي المحبة وأن الشرك فيها أصل الشرك كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل حيث قال فلما جن عليه الليل رأي كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين وقال في القمر لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما أفلت الشمس قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين} ؛ولهذا تبرأ إبراهيم من المشركين وممن أشركوا بالله قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فأنهم عدو لي إلا رب العالمين "ا.هـ السابق (٢/ ٢٧٣).

٤ـ تفسير آية سورة الزخرف ؛قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- :" يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: {أم آتيناهم كتابا من قبله} أي: من قبل شركهم، {فهم به مستمسكون} أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله: {أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون} [الروم: ٣٥] أي: لم يكن ذلك.

ثم قال: {بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون} أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا، وفي قوله: {إن هذه أمتكم أمة واحدة} [الأنبياء: ٩٢] .

وقولهم: {وإنا على آثارهم} أي: ورائهم {مهتدون} ، دعوى منهم بلا دليل.

ثم بين تعالى أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون} [الذاريات: ٥٢، ٥٣] ، وهكذا قال هاهنا: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون}" ا.هـ

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ [35] إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي

---

٥ـ تفسير آيات سورة الصافات ؛قال الإمام السعديّ –رحمه الله- :" وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا} أي: وجدوا {آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعتهم إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}" ا.هـ.

[35] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "أي ما ندعوهم ؛قال النبيّ –صلى الله عليه وسلم- :"الدعاء هو العبادة" وهذا ردٌ عليهم يقولون ما نصلي لهم ونحو ذلك نقول الدعاء هو العبادة ؛كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأنتم تدعونهم ؛وبل وتنذرون لهم وتذبحون لهم وتستغيثون بهم وغير ذلك من صنوف العبادات "ا.هـ.

والحديث ثابت صحيح عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر: ٦٠ "

رواه أحمد (١٨٣٧٨) ،والترمذيّ (٣٢٤٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، وصححه الألبانيّ –رحمه الله- في (صحيح الجامع: ٣٤٠٧، صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٧).

قال العلامة العثيمين –رحمه الله- :" فدلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة ؛ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ؛فمن دعا غير الله –عز وجل- بشيء لا يقدر عليه إلا الله ؛فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيًا ، أو ميتًا ، ومن دعا حيًا بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني فلا شيء فيه.

ومن دعا ميتًا أو غائبًا بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا ؛فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون فيكون بذلك مشركًا.

وأعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه ؛لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى ،واللجوء إليه ،واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قوله القائل يا فلان اطعمني.

وأما دعاء العبادة فأن يتعبد به للمدعو طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة وعليه يقع الوعيد في قوله –تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾" ا.هـ شرح ثلاثة الأصول (ص: ٥٦).

﴿ مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ الزمر: ٣[٣٦] .

ودليل الشفاعة[٣٧] قوله-تعالى-:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

٣٦ وقد سبق تفسير الآية ؛فارجع إليه (ص١٥_١٦).

٣٧ قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "والشفاعة لغة من الشفع والشفع ضد الوتر ؛أي: يأتون بمن يشفع لهم عند الله لتكفير سيئاتهم وقضاء حوائجهم ؛وهي شفاعة شركية ،ويسمون هذه الشفاعة توسلا ،والتوسل أيضا منه السنيّ والشركيّ ، وقد غرق أصحاب التصوف في هذه الشفاعة الشركية تقليدًا لليهود والنصارى في توسلاتهم للقديسين قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"لتتبعن سنن من كان قبلكم..."الحديث.

والبديل لها الشفاعة الشرعية ،وهي كما جاء في الأحاديث التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته ودعاء الصالحين والعمل الصالح كما في قصة أصحاب الغار وغيرها "ا.هـ.

وفي قضية الشفاعة مسائل كثيرة قد جمعها مختصرة العلامة الفوزان –حفظه الله تعالى- ؛فقال :

١ـ"فالشفاعة يوم القيامة الناس فيها على ثلاثة أقسام:

قوم غلوا في إثباتها حتى طلبوها من الأموات ومن القبور ومن الأصنام والأشجار والأحجار (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [يونس: ١٨] ، (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: ٣] .

وطائفة غلت في نفي الشفاعة كالمعتزلة والخوارج، فإنهم نفوا الشفاعة في أهل الكبائر، وخالفوا ما تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة.

وأهل السنة والجماعة توسطوا فأثبتوا الشفاعة على الوجه الذي ذكره الله ورسوله، وآمنوا بها من غير إفراط ولا تفريط.

٢ـ والشفاعة في اللغة مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، فالوتر هو الفرد الواحد. والشفع هو أكثر من واحد، اثنين أو أربعة أو ستة، وهو ما يسمى بالعدد الزوجي.

وشرعاً: الوساطة في قضاء الحاجات، وساطة بين من عنده الحاجة وصاحب الحاجة.

٣ـ وهي على قسمين: شفاعة عند الله، وشفاعة عند الخلق.

فالشفاعة عند الخلق على قسمين:

أـ شفاعة حسنة، وهي الأمور الحسنة النافعة المباحة، تتوسط عند من عنده حاجات الناس من أجل أن يقضيها لهم، قال سبحانه: (من يشفع شفاعةً حسنة يكن له نصيب منها) [النساء: ٨٥] ، وقال عليه الصلاة والسلام: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان

رسوله ما شاء".هذه شفاعة حسنة وفيها أجر؛ لأن فيها نفعاً للمسلمين في قضاء حاجاتهم وحصولهم على مطلوبهم الذي فيه نفع لهم، وليس فيها تعدّ على أحد أو ظلمٌ لأحد.

ب ـ والقسم الثاني: شفاعة سيئة، وهي التوسط في أمور محرمة، كالشفاعة في إسقاط الحدود إذا وجبت، وهذا يدخل فيمن لعنه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "لعن الله من آوى محدثاً" . والشفاعة أيضاً في أخذ حقوق الآخرين وإعطائها لغير مستحقها، قال تعالى: (ومن يشفع شفعة سيئة يكن له كفلٌ منها) [النساء: ٨٥]
٤ـ أما الشفاعة عند الله فليست كالشفاعة عند المخلوق، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله -جل وعلا- بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبها، فيشفع عنده الشافع في أن يعفو عنه ولا يعذبه؛ لأنه مؤمن موحد،
فيشفع الشافع عند الله -جل وعلا- بأن يعفو عنه، أو فيمن دخل النار في معصية فيشفع الشافع عند الله في أن يخرج ويرفع عنه العذاب، وهي ما تسمى بالشفاعة في أهل الكبائر.
٥ـ لكن الشفاعة عند الله يشترط لها شرطان:
الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذن، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، أما من قبل أن يأذن فلا أحد يتقدم إلى الله عز وجل: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة: ٢٥٥] ، وليس كالمخلوق الذي يتقدم الناس للشفاعة عنده وإن لم يأذن، فالله جل وعلا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.
الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد وأهل الإيمان، ممن يرضى الله عنهم قولهم وعملهم، (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء: ٢٨] ، أي: رضي الله قوله وعمله، وجاء الشرطان في قوله تعالى: (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) [النجم: ٢٦] . أن يأذن الله هذا الشرط الأول، ويرضى هذا الشرط الثاني.
أما الكافر فإنه لا تنفعه الشفاعة (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) [المدثر: ٤٨] ، (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) [غافر: ١٨] فالشفاعة في القرآن شفاعتان؛ شفاعة منفية وهي التي انتفت شروطها، وشفاعة مثبتة وهي التي تحققت شروطها.
فالكافر لا تنفعه الشفاعة؛ لو شفع فيه أهل السماوات وأهل الأرض ما قبل الله فيه شفاعتهم؛ لأنه مشرك كافر بالله عز وجل، لا يرضى الله قوله ولا عمله، إلا ما جاء في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب، فهي شفاعة خاصة، وأيضاً ليست شفاعة من أجل خروجه من النار، إنما هي شفاعة من أجل تخفيف العذاب عن هذا الرجل؛ لما حصل منه من مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته له -عليه الصلاة والسلام- والمدافعة عنه، فالنبيّ -صلى الله عليه وسلم- يشفع في تخفيف العذاب عنه فقط.
٦ـ هذه هي الشفاعة الثابتة بشروطها، وهي أنواع:
منها أنواع خاصة بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وأنواع مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كل هؤلاء يشفعون عند الله -سبحانه وتعالى-.
أ ـ وأما الشفاعة الخاصة بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم- فهي أنواع:
أولها: شفاعته -عليه الصلاة والسلام- في أهل الموقف ؛إذا طال الموقف يوم القيامة، واشتد الكرب، واشتد الزحام، ودنت الشمس من الرؤوس، وحصل الكرب العظيم، أهل المحشر يريدون من يشفع لهم لفصل القضاء بينهم وصرفهم من هذا الموقف: إما إلى جنة وإما إلى نار؛ فيذهبون إلى آدم عليه السلام فيعتذر لهيبة المقام وجلالته، ثم يذهبون إلى نوح عليه السلام أول الرسل فيعتذر، ثم يذهبون إلى موسى كليم الله فيعتذر، ثم

﴿يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ يونس: ١٨ [٣٨].

---

يذهبون إلى عيسى عليه السلام فيعتذر أيضاً، ثم يذهبون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "أنا لها، أنا لها" ثم يأتي فيخر ساجدًا بين يدي الله -عز وجل- ، ويحمده ويثني عليه ويدعوه حتى يقال له: "ارفع رأسك، وسل تُعطه، واشفع تشفع" بعد الدعاء والاستئذان، لا يشفع مباشرة، بل يسجد ويدعو ويثني على الله ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ثم يؤذن له بالشفاعة، ثم يشفع للفصل بين الخلائق فيقبل الله شفاعته، ويأتي سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين عباده، قال سبحانه: (كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً* وجاء ربك والملك صفاً صفاً) [الفجر: ٢١، ٢٢] وقال سبحانه: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر) [البقرة: ٢١٠] .

هذه شفاعته -عليه الصلاة والسلام- في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرّف الله به النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وهي المقام المحمود الذي قال الله –سبحانه- فيه: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) [الإسراء: ٧٩] ؛لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون، ويظهر فضله -عليه الصلاة والسلام- في هذا الموقف العظيم.

الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم- : شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ،فأول من يستفتح باب الجنة هو محمد -صلى الله عليه وسلم- ،وهو أول من يدخلها ،وأول من يدخلها من الأمم أمته -عليه الصلاة والسلام-.

الشفاعة الثالثة: الخاصة بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم- : شفاعته لأهل الجنة بأن يرفع الله منازلهم ودرجاتهم، فيشفع في أناس في أن يرفع الله درجاتهم في الجنة، فيرفعهم الله بشفاعته عليه الصلاة والسلام.

الشفاعة الرابعة: -وهي مشتركة- الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وفي من دخلها أن يخرج منها، وهذه هي محط الخلاف بين الفرق؛ فالجهمية والخوارج وأضرابهم أنكروها وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها، وأهل السنة والجماعة أثبتوها كما جاءت واعتقدوها ،ويجب على المسلم أن يعتقدها ويؤمن بها، وأن يسأل الله أن يُشفع فيه نبيّه -عليه الصلاة والسلام؛ لأنه بحاجة إليها.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصة بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وهي شفاعته في عمه أبي طالب، أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك، قال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها. ولكن الله -عز وجل- يشفع رسوله -عليه الصلاة والسلام- في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاح من نار، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ،مع أنه أهون أهل النار عذابًا.

ب ـ والشفاعة في أهل الكبائر مشتركة، فالملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والأولياء والصالحون يشفعون، والأفراط يشفعون لآبائهم" ا.هـ التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للفوزان (ص: ٩٤).

[٣٨] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "قال -تعالى- :﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ يونس: ١٠٦ - ١٠٧ "ا.هـ

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.
فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾البقرة: ٢٥٤[٣٩].

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة ،والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن ؛كما قال –تعالى-[٤٠] : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ

---

قال الإمام البغويّ –رحمه الله- : "{ولا تدع} ولا تعبد، {من دون الله ما لا ينفعك} إن أطعته، {ولا يضرك} إن عصيته، {فإن فعلت} فعبدت غير الله، {فإنك إذا من الظالمين} الضارين لأنفسهم الواضعين للعبادة في غير موضعها.

{وإن يمسسك الله بضر} أي: يصبك بشدة وبلاء، {فلا كاشف له} فلا دافع له، {إلا هو وإن يردك بخير} رخاء ونعمة وسعة، {فلا راد لفضله} فلا مانع لرزقه، {يصيب به} بكل واحد من الضر والخير، {من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم}"ا.هـ.

[٣٩] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- :" يأمر- تعالى- عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ،ومليكهم ؛وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا {من قبل أن يأتي يوم} يعني: يوم القيامة {لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} أي: لا يباع أحد من نفسه ،ولا يفادى بمال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهبا ولا تنفعه خلة أحد، يعني: صداقته بل ولا نسابته كما قال: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون:١٠١] {ولا شفاعة} أي: ولا تنفعهم شفاعة الشافعين. وقوله: {والكافرون هم الظالمون} مبتدأ محصور في خبره أي: ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا. وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: {والكافرون هم الظالمون} ولم يقل: والظالمون هم الكافرون." ا.هـ.

وقال الإمام البغويّ –رحمه الله- :" {والكافرون هم الظالمون} لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها" اهـ.

[٤٠] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام السعديّ –رحمه الله- : " {له ما في السماوات وما في الأرض} أي: هو المالك وما سواه مملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبر لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فلهذا قال: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله –تعالى- ،ولكنه –تعالى- ؛ إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده ؛أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه،لا يبتدئ الشافع قبل الإذن" ا.هـ .

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾البقرة: ٢٥٥ [41].

**والقاعدة الثالثة**: أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- ظهر على أناسٍ متفرقينَ[42] في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين. ومنهم من يعبد الأشجار

---

[41] خلاصة القاعدة الثانية :

١ـ اتخاذ الوسائط شرك أكبر مخرج من الملة.

٢ـ ضابط الشرك الأكبر التسوية بالله -تعالى- في ألوهيته ،أو ربوبيته ،أو أسمائه وصفاته ؛﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨ ﴾ الشعراء: ٩٦ – ٩٨

٣ـ أصل العبادة المحبة ؛كما أن الشرك فيها أصل الشرك.

٤ـ شدة التشابه بين المشركين قديما وحديثًا !؛وأن شبهاتهم واحدة!.

[42] قال الشيخ البنا -حفظه الله تعالى- : "قال الله -تعالى- :﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣٦ ﴾ التوبة: ٣٦ ؛أي قاتلوهم على اختلاف شركياتهم ،ورغم اختلاف معبوداتهم ؛كما بينه الإمام -رحمه الله- ردًّا على الصوفية وأتباعهم الذين يقولون إنما قاتل عباد الأصنام فقط! فبين الإمام -رحمه الله- أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قاتل أقوامًا متفرقين في عباداتهم ومختلفة معبوداتهم ،وكان منهم عباد أنبياء ،وصالحين ،وملائكة ...إلخ ؛فلا حجة لعباد القبور في أن النبيّ-صلى الله عليه وسلم- إنما قاتل عباد الأصنام فقط "ا.هـ.

وفي كلامه -حفظه الله- مسائل:

١ـ الآية التي ذكرها -حفظه الله- ظاهرة الدلالة على مقصود القاعدة ؛إن لم تكن نصًّا بدخول "كافة" ؛فإن قوله: "وقاتلوا" كان ظاهرًا في العموم ؛فدخلت "كافةً" ؛فنقلته من الظهور إلى النصيّة ،وقد وضح الشيخ – حفظه الله- وجه الدلالة فيها.

٢ـ تفسير آية سورة التوبة ؛ قال الإمام السعديّ -رحمه الله- : "قوله -تعالى-: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين.

ولا تخصوا أحدًا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء ؛كما كانوا هم معكم كذلك ،قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم ،لا يألونهم من الشر شيئا "ا.هـ.

٣ـ بيّن الشيخ -حفظه الله- مراد الإمام -رحمه الله- من هذه القاعدة وخلاصتها ؛وهي الرد على المتصوفة ،وأتباعهم في زعمهم أن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- إنما قاتل من اتخذ وسائط من الأصنام والأوثان والكواكب ،ونحن -يعني الصوفية- نتخذها من الصالحين! ؛قال الشيخ الفوزان -حفظه الله- :" قوله: "والدليل قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} " أي: الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ} ، وهذا عامّ لكل المشركين، لم يستثن أحدًا ،ثم قال: {حَتَّى لَا تَكُونَ

والأحجار. ومنهم من يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ولم يفرق بينهم. والدليل قوله -تعالى- : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ الأنفال: ٣٩[٤٣].

ودليل الشمس ،والقمر قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ ﴾ فصلت: ٣٧[٤٤].

---

فِتْنَةٌ} والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عامّ ؛أي شرك، سواء الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس أو بالقمر.

{وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} : تكون العبادة كلها لله، ليس فيها شِركة لأحد كائنًا من كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشياطين ،أو غيرهم "ا.هـ شرح القواعد الأربع له (ص: ٢٤) ت/ الرداديّ – ط/الرسالة.

٤٣ تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- :" قال الضحاك، عن ابن عباس: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} يعني: حتى لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع عن أنس، والسديّ ،ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم.

وقال محمد بن إسحاق: بلغني عن الزهريّ ،عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا: {حتى لا تكون فتنة} حتى لا يفتن مسلم عن دينه.

وقوله: {ويكون الدين كله لله} قال الضحاك ،عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يخلص التوحيد لله.

وقال الحسن وقتادة، وابن جريج: {ويكون الدين كله لله} أن يقال: لا إله إلا الله.

وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصا لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد ،وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: {ويكون الدين كله لله} لا يكون مع دينكم كفر.

ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، عز وجل" ا.هـ

٤٤ تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام الحجة شيخ المفسرين ابن جرير الطبريّ -رحمه الله- : "يقول-تعالى ذكره- : ومن حجج الله -تعالى- على خلقه ودلالته على وحدانيته ،وعظيم سلطانه ،اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه ،والشمس والقمر ،لا الشمس تدرك القمر (ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله

ودليل الملائكة قوله –تعالى- : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾آل عمران: ٨٠ [٤٥].

---

إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فتركم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيئا. ...
وقوله: (إن كنتم إياه تعبدون) يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة؛ وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة ،ولا تشركوا في طاعتكم إياه ،وعبادتكموه شيئا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه" ا.هـ.
وقال الإمام الكبير أبو الفداء ابن كثير –رحمه الله- : "يقول –تعالى- منبهًا خلقه على قدرته العظيمة ،وأنه الذي لا نظير له ،وأنه على ما يشاء قادر، {ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر} أي: أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات.
ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلويّ والسفليّ ،نبّه –تعالى- على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره ،فقال: {لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون} أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ،فإنه لا يغفر أن يشرك به؛ ولهذا قال: {فإن استكبروا} أي: عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، {فالذين عند ربك} يعني: الملائكة، {يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون} ، كقوله {فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين} [الأنعام: ٨٩] " ا.هـ.
[٤٥] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- : "فقوله : {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله} أي: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله. أي: مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبيّ ولا لمرسل ،فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ؛ولهذا قال الحسن البصريّ: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته. قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا -يعني أهل الكتاب-كانوا يتعبدون لأحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله [والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون] } [التوبة:٣١] وفي المسند، والترمذيّ -كما سيأتي-أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: "بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم".
فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنما يأمرون بما أمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام. إنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه

ودليل الأنبياء قوله –تعالى- : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦[٤٦].

---

رسله الكرام. فالرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم قيام، ونصحوا الخلق، وبلغوهم الحق...ثم قال: {ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا} أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب {أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون} أي: لا يفعل ذلك؛ لأن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء:٢٥] وقال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} الآية، [النحل:٣٦] وقال تعالى {واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون} [الزخرف:٤٥] وقال [تعالى] إخبارا عن الملائكة: {ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين} [الأنبياء:٢٩] ." ا.هـ.

[٤٦] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام السعديّ –رحمه الله- : " وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ،فيقول الله هذا الكلام لعيسى ؛فيتبرأ عيسى ،ويقول: {سُبْحَانَكَ} عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك ؛{مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد ،مدبرون، وخلق مسخرون ،وفقراء عاجزون {إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} فأنت أعلم بما صدر مني و {إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ} وهذا من كمال أدب المسيح -عليه الصلاة والسلام- في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام:"لم أقل شيئا من ذلك" ،وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزّه ربّه عن ذلك أتم تنزيه، وردّ العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرّح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم. {وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد

ودليل الصالحين قوله –تعالى- : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾الإسراء: ٥٧ (٤٧).

ودليل الأشجار والأحجار قوله –تعالى- : ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾النجم: ١٩ - ٢٠ (٤٨)

---

أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر" ا.هـ .

[٤٧] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام الأمين الشنقيطيّ –رحمه الله- : " بيّن -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ؛أي إزالة المكروه عنهم ،ولا تحويلا ،أي تحويله من إنسان إلى آخر ،أو تحويل المرض إلى الصحة، والفقر إلى الغنى ،والقحط إلى الجدب ،ونحو ذلك ،ثم بين فيها أيضا أن المعبودين الذين عبدهم الكفار من دون الله يتقربون إلى الله بطاعته، ويبتغون الوسيلة إليه، أي الطريق إلى رضاه ونيل ما عنده من الثواب بطاعته فكان الواجب عليكم أن تكونوا مثلهم.

قال ابن مسعود: نزلت هذه الآية في قوم من العرب من خزاعة - أو غيرهم - كانوا يعبدون رجالا من الجن، فأسلم الجنيون ،وبقي الكفار يعبدونهم فأنزل الله: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة الآية.

وعن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في الذين كانوا يعبدون عزيرًا والمسيح وأمه، وعنه أيضًا، وعن ابن مسعود، وابن زيد، والحسن: أنها نزلت في عبدة الملائكة.

وعن ابن عباس: أنها نزلت في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه.

وهذا المعنى الذي بيّنه -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة: من أن كل معبود من دون الله لا ينفع عابده، وأن كل معبود من دونه مفتقر إليه ومحتاج له -جل وعلا- ،بيّنه أيضًا في مواضع أخر، كقوله «في سبأ» : قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ،وقوله «في الزمر» : أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ، إلى غير ذلك من الآيات، وقد قدمنا «في سورة المائدة» أن المراد بالوسيلة في هذه الآية الكريمة «وفي آية المائدة» : هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح " ا.هـ

[٤٨] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام ابن كثير –رحمه الله- : "يقول -تعالى- مقرعا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن -عليه الصلاة والسلام- : {أفرأيتم اللات} ؟ وكانت "اللات" صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله –تعالى- ،فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وحكي عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرؤوا "اللاتّ" بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

وقال البخاريّ:...عن ابن عباس : {اللات والعزى} قال: كان اللات رجلا يلت السويق، سويق الحاج.

قال ابن جرير: وكذا العزى من العزيز.

وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم ؛فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم".

وروى البخاريّ ...عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق" ؛وهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية ،كما قال النسائيّ: ...عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حلفت باللات والعزى، فقال لي أصحابي: بئس ما قلت! قلت هجرا! فأتيت رسول -صلى الله عليه سلم- ،فذكرت ذلك له ،فقال: "قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وانفث عن شمالك ثلاثا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تعد"

وأما "مناة" فكانت بالمشلل -عند قديد، بين مكة والمدينة-وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاريّ عن عائشة نحوه.

وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، بها سدنة وحجاب ،وتهدي لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوفاتها بها ،وتنحر عندها ،وهي تعرف فضل الكعبة عليها ؛لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم -عليه السلام- ومسجده. فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم.

قلت: بعث إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد فهدمها، وجعل يقول:

يا عز، كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك ...

وقال النسائيّ:...عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات ،فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فأخبره فقال: "ارجع فإنك لم تصنع شيئا". فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة -وهم حجبتها-أمعنوا في الحيل وهم يقولون: "يا عزى، يا عزى". فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها،ثم رجع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره، فقال: "تلك العزى" ا.هـ

،وحديث أبي واقد الليثيّ[٤٩] -رضي الله عنه- قال :"خرجنا مع النبيّ-صلى الله عليه وسلم- إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم[٥٠] يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ؛كما لهم ذات أنواط". الحديث[٥١].

---

٤٩ صحابيّ جليل ،قد اشتهر بكنيته: (أبو واقد الليثيّ) ،اختلف في اسمه ،ومتى أسلم؟ والأشهر في اسمه ؛ما سماه به البخاريّ ،وغيره: (الحارث بن عوف) ،قيل بدريّ ،وقيل أسلم قبل الفتح ،وقيل: يوم الفتح ،والأشبه –والله أعلم ما ذكره أبونعيم في معرفة الصحابة(٢/ ٧٥٨) :"والصحيح أنه أسلم عام الفتح، لأنه شهد على نفسه أنه كان مع النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بحنين ونحن حديثو عهد بكفر، وليس لشهوده بدرًا أصل "ا.هـ ؛قلت يشهد لذلك قوله في رواية ابن أبي عاصم في السنة:" وكانوا أسلموا يوم الفتح" وصححها الألبانيّ في ظلال الجنة(٧٦) ،واختلف في سنة وفاته ،وفي سنّه عند الموت ؛وصحح ابن حجر في "التقريب" أنه توفي سنة ٦٨هـ ،وهو ابن خمس وثمانين.

٥٠ قال العلامة سليمان آل الشيخ –رحمه الله- : "فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة، والعكوف عندها، اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والذبح، والنذر لهم، والطواف بقبورهم، وتقبيلها، وتقبيل أعتابها وجدرانها، والتمسح بها، والعكوف عندها، وجعل السدنة والحجاب لها؟! وأي نسبة بين هذا، وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركًا؟! قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها" ا.هـ تيسير العزيز الحميد (ص: ١٤٧).

٥١ رواه الترمذيّ (٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء: لتركبن سنن من كان قبلكم ؛وقد اختصره الإمام هاهنا وتمامه عند الترمذيّ بسنده عن أبي واقد الليثيّ ،أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم- : " سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾الأعراف: ١٣٨ ،والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم ": هذا حديث حسن صحيح، وأبو واقد الليثيّ اسمه الحارث بن عوف وفي الباب عن أبي سعيد، وأبي هريرة".
ورواه أحمد "٥/ ٢١٨"، وابن حبان "الإحسان ٨/ ٢٤٨" ،والحاكم "٤/ ٤٥٥" وقال صحيح ،ووافقه الذهبيّ ،وصححه ابن حجر في الإصابة ( ٢١٦/٤) ،وصححه الألبانيّ كما في ظلال الجنة (٧٦).
"قوله (لما خرج) أي عن مكة كما في رواية لأحمد (إلى حنين) كزبير موضع بين الطائف ومكة ،(يقال لها ذات أنواط) قال الجزريّ في النهاية هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط انتهى

**القاعدة الرابعة**[٥٢]: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين ،لأن الأولين

(سبحان الله) تنزيها وتعجبا (هذا) أي هذا القول منكم (كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم الهة) لكن لا يخفى ما بينهما من التفاوت المستفاد من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى (لتركبن) بضم الموحدة والمعنى لتتبعن (سنة من كان قبلكم) وفي حديث أبي سعيد عند البخاريّ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود ،والنصاري ؛قال: فمن ؟!" ،ورواه الحاكم عن ابن عباس وفي آخره وحتى لو أن أحدكم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه" قال المناويّ : إسناده صحيح ،والسنة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة والمراد هنا طريقة أهل الأهواء ،والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وقال النوويّ المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم" انتهى.

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد في مسنده

قوله (وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة) أما حديث أبي سعيد فأخرجه الشيخان وقد تقدم لفظه وأما حديث أبي هريرة فأخرجه البخاريّ عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله كفارس والروم قال ومن الناس إلا أولئك " تحفة الأحوذيّ (٣٤٠/٦) ط الكتب العلمية.

[٥٢] قال الشيخ البنا –حفظه الله تعالى- : "ذكر المصنف في القاعدة الرابعة أن مشركي هذا الزمان أشد شركًا من السابقين ،ويستفاد من هذه القاعدة الصحيحة الموافقة للواقع أن صاحب العقيدة الشركية لا يزال يزداد تعمقًا في شركه ؛قال –تعالى- :﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾مريم: ٧٥."ا.هـ.

وفي كلامه –حفظه الله- مسائل:

١ـ أن المسلم إذا وقع في ناقض من نواقض الإسلام خرج من الإسلام ؛إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع ؛قال الشيخ الإمام في كشف الشبهات : "وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله) . وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) » وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل. فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون (لا إله إلا الله) ،وأن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ،وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: (لا إله إلا الله) وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع ،وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه " ا.هـ

يشركون في الرخاء ،ويخلصون في الشدة ،ومشركو زماننا شركهم –دائمًا- في الرخاء ،والشدة[٥٣] .

والدليل قوله –تعالى- :﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٥ [٥٤].

---

٢ـ كون شرك المتأخرين أغلظ من شرك المتقدمين من وجهين ذكرهما الإمام –رحمه الله – في كشف الشبهات –أيضًا- ؛فقال :"...المشركون في زماننا أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- من وجهين:

أحدهما: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء وأما في الشدائد ؛فيخلصون لله الدين ،كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾الإسراء: ٦٧.

والثاني: أن مشركي زماننا يدعون أناسا لا يوازون عيسى والملائكة. إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر"ا.هـ.

٣ـ تفسير آية سورة مريم ؛ قال الإمام السعديّ –رحمه الله- : " لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أخبر هنا، أن من كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها، فإن الله يمده منها، ويزيده فيها حبا ،عقوبة له على اختيارها على الهدى، قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}" ا.هـ.

[٥٣] وفي ذلك آيات عدة –سوى ما ذكره الإمام –عليه الرحمة – منها :

١ـقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ لقمان: ٣٢.

٢ـ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يونس: ٢٢ ـ ٢٣.

٣ـ وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ الزمر: ٨.

٤ـ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن

يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ الإسراء: ٦٧ – ٦٩.

وارجع إلى تفسير الآيات في تفاسير أهل السنة ؛كالطبريّ ،وابن كثير ،وغيرهما -رحمهم الله- ،وقال الآلوسيّ –رحمه الله- عند آية سورة يونس: "وقوله سبحانه: مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حال من ضمير دَعَوُا ولَهُ متعلق بمخلصين والدِّينَ مفعوله أي دعوه تعالى من غير إشراك لرجوعهم من شدة الخوف إلى الفطرة التي جبل عليها كل أحد من التوحيد وأنه لا متصرف إلا الله سبحانه المركوز في طبائع العالم وروي ذلك عن ابن عباس

ومن حديث أخرجه أبو داود والنسائيّ وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص: "لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما قال فجاء فأسلم".

وفي رواية ابن سعد عن أبي مليكة وأن عكرمة لما ركب السفينة وأخذتهم الريح فجعلوا يدعون الله –تعالى- ويوحدونه قال: ما هذا؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله –تعالى- ؛ قال: فهذا إلهُ محمدٍ -صلّى الله عليه وسلم- الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا فرجع. وأسلم» .

وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به –سبحانه- بل تخصيص العبادة به –تعالى- أيضا لأنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين.

وأيًا ما كان فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره –تعالى- في تلك الحال، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعو الخضر والياس ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله –تعالى- وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله –تعالى- عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا وأي الداعيين أقوم قيلا؟ وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الاستغاثة بغير الله –تعالى- للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف" ا.هـ.

[54] تفسير الآية الكريمة ؛قال الإمام الطبريّ –عليه الرحمة- : " يقول- تعالى ذكره- : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه (دعوا الله مخلصين له الدين) يقول: أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم- التوحيدَ ،وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ،ولكن بالله الذي خلقهم (فلما نجاهم إلى البر) يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم، فصاروا إلى البر، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا " ا.هـ .

وها هنا فائدة عظيمة ذكرها الإمام ابن القيم –رحمه الله- ؛قال : "التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون} وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك

## {خاتمة}

تمت[55] ،وصلى الله على محمد ،وآله وصحبه ؛وسلم[56].

---

الظلمات وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الايمان عند المعاينة لا يقبل ؛هذه سنة الله في عباده فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها وبالله التوفيق" ا.هـ الفوائد(ص: ٥٣) ط/الكتب العلمية.

[55] تمت : من التمام ؛أي :بلغت الغاية ،وأُتي على المراد منها ؛قال ابن فارس –رحمه الله- : التاء والميم أصل واحد منقاس ،وهو دليل الكمال. يقال تم الشيء، إذا كمل" ا.هـ مقاييس اللغة (١/ ٣٣٩) دار الفكر.

ويُؤتى بها لفائدتين :

١- حتى لا يدخل في الرسالة ما ليس منها.

٢- وحتى لا تدخل الرسالة في غيرها.

[56] وفي الخاتمة مسائل :

١ـ من آداب التصنيف الختم بالصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- للآتي :

أ- لما جرى عليه عمل أهل العلم –رحمهم الله- من قديم.

ب- لما ثبت في فضل الصلاة والسلام على الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم- .

ج- إشارة إلى عزو ما فيه من خير إلى مشكاة النبوة.

د- رجاء حصول الخير بالانتفاع به استئناسًا بختم الدعاء بالصلاة والسلام عليه ؛ فإن الكاتب والمصنف إنما يرجو بعمله وجه الله ،والدارَ الآخرة ؛فهو كالداعي ؛وعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: " إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء ، حتى تصلي على نبيّك - صلى الله عليه وسلم - "انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٦٧٦) ،وعن عليّ -رضي الله عنه- قال: " كل دعاء محجوب ،حتى يصلى على النبيّ -صلى الله عليه وسلم- " انظر السلسلة الصحيحة للإمام الألبانيّ –عليه الرحمة- (٢٠٣٥) ،وقال –رحمه الله- : هو في حكم المرفوع ، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي كما قال السخاويّ(ص٢٢٣) ،وحكاه عن أئمة الحديث والأصول. أ. هـ ،وقال أبو سليمان الدارانيّ –رحمه الله- : إذا سألت الله حاجة فابدأه بالصلاة على النبيّ -صلى الله عليه وسلم -،ثم ادع بما شئت ،ثم اختم بالصلاة عليه ،فإن الله –سبحانه- بكرمه يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما" ا.هـ ؛ كما في شرح الشفا للقاري(٢/ ١١٥) ط/ الكتب العلمية.

٢ـ معنى الصلاة والسلام عليه :

أ ـ أما الصلاة فذهب الجمهور إلى أن معناها الرحمة ؛قال العلامة العثيمين –رحمه الله- :" وهذا مشهورٌ بين أهل العلم، لكن الصحيح خِلاف ذلك، أن الصَّلاةَ أخصُّ من الرحمة، ولذا أجمع المسلمون على جواز الدُّعاء

بالرحمة لكلِّ مؤمن، واختلفوا: هل يُصلَّى على غير الأنبياء؟ ولو كانت الصَّلاةُ بمعنى الرحمة لم يكن بينهما فَرْقٌ، فكما ندعو لفلان بالرحمة نُصلِّي عليه.

وأيضًا: فقد قال الله- تعالى- : {أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} [البقرة: ١٥٧] فعطف «الرحمة» على «الصلوات» والعطفُ يقتضي المغايرة فتبيَّن بدلالة الآية الكريمة، واستعمال العلماء رحمهم الله للصلاة في موضع، والرحمة في موضع أن الصَّلاة ليست هي الرحمة.

وأحسن ما قيل فيها: ما ذكره أبو العالية ـ رحمه الله ـ أنَّ صلاةَ الله على نبيه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

فمعنى «اللَّهمَّ صَلِّ عليه» أي: أثنِ عليه في الملأ الأعلى، أي: عند الملائكة المقرَّبين.

فإذا قال قائل: هذا بعيد مِن اشتقاق اللفظ، لأن الصَّلاة في اللُّغة الدُّعاء وليست الثناء.

فالجواب على هذا: أن الصلاة أيضاً من الصِّلَة، ولا شَكَّ أن الثناء على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الملأ الأعلى من أعظم الصِّلات؛ لأن الثناء قد يكون أحياناً عند الإنسان أهمُّ من كُلِّ حال، فالذِّكرى الحسنة صِلَة عظيمة.

وعلى هذا؛ فالقول الرَّاجح: أنَّ الصَّلاةَ عليه تعني: الثناء عليه في الملأ الأعلى." ا.هـ الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٦٣) ط/ابن الجوزيّ.

قلت : وهذا ما قاله الخليل إمام العربية ؛كما في "العين" قال :" وصَلَواتُ اللهِ على أنبيائه والصالحين من خلقه: حُسنُ ثَنائه عليهم وحُسن ذكره لهم. وقيل: مَغفرتُه لهم" ا.هـ.

و قال الإمام الطبريّ –رحمه الله- : " قوله: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته} يقول -تعالى ذكره- : ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير ،وتسبحونه بكرة وأصيلا ، إذا أنتم فعلتم ذلك ،فهو الذي يرحمكم ،ويثني عليكم ،ويدعو لكم ملائكته ،وقيل: إن معنى قوله :{يصلي عليكم وملائكته}: يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله" أ.هـ

وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله- عند قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ الأحزاب: ٥٦ قال : " المقصود من هذه الآية أن الله -سبحانه وتعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه تصلي عليه الملائكة ثم أمر الله تعالى العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلويّ والسفليّ جميعًا" ا.هـ.

ب ـ وأما السلام ؛فقد قال العلامة العثيمين –رحمه الله- : " "السَّلام" قيل: إنَّ المراد بالسَّلام: اسمُ الله -عزّ وجل- ؛لأن النبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: "إنَّ اللَّهَ هو السَّلامُ" كما قال -عزّ وجل- في كتابه: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ} [الحشر: ٢٣] وبناءً على هذا القول يكون المعنى: أنَّ الله على الرَّسولِ -صلّى الله عليه وسلّم- بالحِفظ والكَلاءة والعناية وغير ذلك، فكأننا نقول: اللَّهُ عليك، أي: رقيب حافظ مُعْتَنٍ بك، وما أشبه ذلك.

وقيل: السلام: اسم مصدر سَلَّمَ بمعنى التَّسليم كما قال –تعالى- : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦] فمعنى التسليم على الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- : أننا ندعو له بالسَّلامة مِن كُلِّ آفة.

إذا قال قائل: قد يكون هذا الدُّعاء في حياته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ واضحاً، لكن بعد مماته كيف ندعو له بالسَّلامةِ وقد مات -صلّى الله عليه وسلّم-؟

فالجواب: ليس الدُّعاءُ بالسَّلامة مقصوراً في حال الحياة، فهناك أهوال يوم القيامة، ولهذا كان دعاء الرُّسل إذا عَبَرَ النَّاسُ على الصِّراط: "اللَّهُمَّ، سَلِّمْ؛ سَلِّمْ" ، فلا ينتهي المرءُ مِن المخاوف والآفات بمجرد موته.
إذًا ؛ندعو للرَّسول -صلّى الله عليه وسلّم- بالسَّلامةِ من هول الموقف، ونقول أيضاً: قد يكون بمعنى أعم، أي: أنَّ السَّلامَ عليه يشمَلُ السَّلامَ على شرعِهِ وسُنَّتِهِ، وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين ؛كما قال العلماءُ في قوله تعالى: {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩] قالوا: إليه في حياته، وإلى سُنَّتِهِ بعد وفاته" ا.هـ الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٤٩).
٣ـ فضل الصلاة والسلام عليه ؛والأدلة عليه كثيرة –وينظر في ذلك جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام للإمام ابن القيم –رحمه الله- ،ومن الأدلة أمره –تعالى- بذلك كما مرّ في الآية الكريمة ،وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : " من صلى علي واحدة ،صلى الله عليه عشرا" رواه مسلم (٤٠٨) ،وغيره.
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أولى الناس بي يوم القيامة ، أكثرهم علي صلاة" رواه الترمذيّ(٤٨٤) ،وابن حبان(٩١١) ،وغيرهما ،وانظر صحيح الترغيب والترهيب:(١٦٦٨).
٤ـ الصلاة والسلام على الأنبياء غير النبيّ -صلى الله عليه وسلم- ؛قال- تعالى- : {سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين} ،وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني" انظر صحيح الجامع : (٣٧٨٢) ،الصحيحة: (٢٩٦٣).
وعن وائل بن حجر - رضي الله عنه – مرفوعًا ؛قال : " صلوا على النبيّين إذا ذكرتموني، فإنهم قد بعثوا كما بعثت" انظر صحيح الجامع: (٣٧٨١).
٥ ـ الصلاة والسلام على آله وأصحابه ؛أما الآل "فكما جاء في الحديث لما سئل النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عن كيفية الصلاة عليه في الصلاة ؛قال: (قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ،والسلام كما قد علمتم) فالصلاة على آله من تمام الصلاة عليه وتوابعها ؛لأن ذلك مما تقرُّ به عينه ،ويزيده الله به شرفًا وعلوًا.
وقد ألف ابن القيم رحمه الله كتابًا مستقلًا في فضل الصلاة على النبيّ - صلى الله عليه وسلم- سمّاه: "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" ،وقد بيّن فيه أن الصلاة على آل البيت حقّ لهم دون سائر الأمة، بغير خلاف بين الأئمة.
لكن قد يورد البعض مسألتين:
الأولى : أن أهل السنة كثيرًا ما يصلون على النبيّ - صلى الله عليه وسلم- بدون ذكر (الآل) فيقولون: صلى الله عليه وسلم.
والثانية : أن أهل السنة إذا صلوا على النبيّ - صلى الله عليه وسلم- في بداية الكلام يضيفون مع الآل الأصحاب، فيقولون: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

والجواب عن المسألة الأولى أن يقال: الأمر في ذلك واسع؛ فقد أمر الله في القرآن بالصلاة على النبيّ -صلى الله عليه وسلم- ولم يذكر الآل ؛ كما قال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [سورة الأحزاب: ٥٦] فإن ذكر الآل فأمر حسن، وإن لم يُذكروا فالأمر فيه سعة.
وأما الجواب عن المسألة الثانية: فإن الله أمر نبيّه بالصلاة على أصحابه في قوله: { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة: ١٠٣]، ونحن مأمورون بالاقتداء به - صلى الله عليه وسلم- ، فذكرهم في الصلاة مع النبيّ - صلى الله عليه وسلم- فيه سعة ،وهو من الاقتداء بالنبيّ -صلى الله عليه وسلم-" ا.هـ ،وانظر السلسلة الضعيفة للإمام الألبانيّ -رحمه الله- ص (١٢/ ٤١٥).
قلت :الصلاة والسلام عليهم تبعًا لا شيء فيه ،وإنما الخلاف في ذلك استقلالا ؛قال النوويّ –رحمه الله- :" وقوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد احتج به من أجاز الصلاة على غير الأنبياء وهذا مما اختلف العلماء فيه فقال مالك والشافعيّ رحمها الله –تعالى- والأكثرون: لا يصلي على غير الأنبياء استقلالا فلا يقال اللهم صل على أبي بكر أو عمر أو علي أو غيرهم ولكن يصلي عليهم تبعًا ؛فيقال اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته ؛كما جاءت به الأحاديث وقال أحمد وجماعة يصلى على كل واحد من المؤمنين مستقلا واحتجوا بأحاديث الباب وبقوله -صلى الله عليه وسلم- : "اللهم صل على آل أبي أوفى" وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم صلى عليهم قالوا وهو موافق لقول الله-تعالى-:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ الأحزاب: ٤٣ ،واحتج الأكثرون بأن هذا النوع مأخوذ من التوقيف واستعمال السلف ولم ينقل استعمالهم ذلك بل خصوا به الأنبياء كما خصوا الله –تعالى- بالتقديس والتسبيح ؛فيقال قال الله سبحانه وتعالى ،وقال الله تعالى وقال عز وجل وقال جلت عظمته وتقدست أسماؤه وتبارك وتعالى ونحو ذلك ولا يقال قال النبيّ عز وجل وإن كان عزيزا جليلا ولا نحو ذلك وأجابوا عن قول الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته وعن الأحاديث بأن ما كان من الله عز وجل ورسوله فهو دعاء وترحم وليس فيه معنى التعظيم والتوقير الذي يكون من غيرهما وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية فإنما جاء على التبع لا على الاستقلال وقد بينا أنه يقال تبعا لأن التابع يحتمل فيه ما لا يحتمل استقلالا " ا.هـ شرح النووي على مسلم ط/ إحياء التراث العربيّ (٤/ ١٢٦) ،وما بعدها.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## رب يسّر، وأعن بالكريم

الحمدُ لله ،والصلاةُ والسلامُ على رسول الله ،أما بعدُ ؛فهذا نظمٌ نظمته[٥٧] -بفضل الله تعالى- للقواعد الأربع[٥٨] لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله تعالى- ؛سمّيته:" الرّوضُ المُربعْ نظمُ القواعدِ الأربعْ " ؛فأسألُ اللهَ أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم ،وأن ينفع به في الدنيا والآخرة .

١- الحمـــدُ للهِ العليمِ المقتدرْ *** إحسـانُهُ ،وفضلُهُ لاينحصـــرْ([٥٩]).

٢- ثُمَّ الصّــلاةُ معْ سلامٍ منتشرْ***على النبيِّ المصطفى خيرِ البشرْ([٦٠]).

٣- وبعدُ ذي أربعةُ القواعدِ *** للقدوةِ النّجديِّ([٦١]) مِن أهلِ الأثرْ([٦٢]).

---

(٥٧)– كان الابتداء في النظم سحرَ ليلةِ السّابعِ عشر من شعبان عام ١٤٣٥ هـ .

(٥٨) يُقال القواعد الأربع ،والأربعة لأن المعدود إذا تقدم على العدد جاز فيه الوجهان ؛كما جاء في "حاشية العلامة الصبان على شرح الشيخ الأشمونيّ : على ألفية الإمام ابن مالك (٤/ ٨٧) ؛قال :"...فلو تقدم {أي: المعدود} وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ؛كما لو حذف تقول: مسائل تسع ورجال تسعة، وبالعكس كما نقله الإمام النوويّ عن النحاة ؛فاحفظها فإنها عزيزة"أ.هـ.

(٥٩)- قالَ – تعالى- : { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها } الآية .

(٦٠)- كما عند مسلم وأبي داود – رحمها الله - ؛" قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» الحديث .

(٦١)- الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجديّ ولد عام ١١١٥هـ،وتوفي-رحمه الله- سنة ١٢٠٦هـ.

(٦٢)– أهل الحديث ،أهل السنة والجماعة ،السّلفيونَ .

٤- فأســـألُ اللهَ الكريمَ جَعْلَنا *** ممّن إذا أعطـــاهُ ربُّــــهُ شـــكرْ .

٥- كذاكَ إن جاءَ البلاءُ يصّطبرْ***وإنْ أصابَ الذنبَ تابَ،وادَّكرْ([٦٣]).

٦- فهـذهِ ثـــلاثةُ السّعـــادةِ *** فيا لهُ من مؤمنٍ!؛ كما الخبـــرْ([٦٤]) .

٧- فاعلمْ- هُديتَ- أنّ ملةَ الرُّسلْ *** أنّ نُخلصَ العبـــادةَ ؛ كما أَمَرْ.

٨ - فاللهُ لا يغفـــرُ إشـراكًا بـهِ *** وما سـواهُ إن يَشأْهُ قدْ غـــفرْ.

٩- فـلا يُسمـىّ فعلُنا عبـادةً *** إلا معَ التّوحيــدِ يتلوهُ الأثـرْ ([٦٥]) .

١٠- فإنْ أتى الإشراكُ أُحبطتْ كما*** يُحبِطُ الاحداثُ طُهورَ من طَهُرْ.

١١- ثُمَّ اعلمنْ بأنَّ عُبّـــــادَ القُبُرْ *** قد حسّنوا الإشـراكَ كيما ينتشرْ.

١٢- إذ حصـــروا التّوحيدَ في الربوبةِ *** وأهملوا الأُلوهةَ ؛لمْ تُعتــــبَرْ.

١٣- فأولُ القـــواعـــدِ أنْ تعلما *** أنَّ النبيَّ قـاتلَ حتّى انتــصـــرْ.

---

([٦٣])- "ادّكر ": تذكّر ؛ قال - تعالى - :{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ } ،وقال – سبحانه - : {وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }

([٦٤])- للآيات السّابقة ،وللحديثِ عند مسلم وغيره ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

([٦٥])- للحديثين الكريمين وهما ركنا الدين ،وتحقيقٌ لشهادة " أن لا إله إلا الله ،وأن محمّدًا رسولُ الله " ؛فالحديث الأول :" عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ،والحديث الثاني عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» والحديثان في الصحيحين .

١٤- على أُناسٍ قد أقــرّوا أنّهُ *** لا خـــــالقَ إلا الإلهُ المقـــتدرْ.

١٥- وثانيَ القواعـــدِ في قولِهم *** لا نعبدُ الضـــرّيحَ ،أو من قد قُبِرْ.

١٦- وإنّما للقُـــربِ ،والشَّفاعةِ *** فقـل لهم: وذاكَ قولُ من كـــفرْ.

١٧- إذ قالـوا ما نعبـــدهم إلا لـما *** يُقرّبُـــونا للإلهِ ذي القُـــدَرْ.

١٨- ويعبـــدون دونَهُ،وقـــولَهم *** أنْ هؤلاءِ شُفَّـــعٌ وقتَ الضّـررْ.

١٩- فقولُهم كقولِكم ؛هل ترجعوا؟!***قبلَ الجحيمِ ،واللهـيبِ ،والسُّعُرْ.

٢٠- ثُمَّ اعـلمنْ أنَّ الشَّفاعةَ أتتْ*** شفاعتينِ ؛ذاكَ ؛هلْ مِن مدّكرْ.

٢١- مُثبتةٌ إذ تُطلبُ مِن الصّمدْ***من بعدِ أن يرضى،وإذنٍ قدْ صَدَرْ.

٢٢- منفيّةٌ ؛إن طُلبتْ مِن غيــرِهِ *** ممّـــا عليــهِ غيـــرُهُ لا يَقتـــدِرْ.

٢٣- والثّـالثُ أنَّ النبيَّ قد ظهرْ *** على أُناسٍ كُفرُهم شــركٌ كُثُرْ!.

٢٤- فمنهمو من يعبدُ بعضَ البشرْ[٦٦]***ومنهمو عُبّادُ شمسٍ ،أوقــمرْ!.

٢٥- ومنهمو من يعبدُ بعضَ الحجرْ *** أومَلَكًا ،أو جِنَّةً ، أو الشجرْ!.

٢٦- فكيف قالوا: الشركُ أصنامٌ فقط؟!***هذا لعمرُ اللهِ غايةُ الخطرْ!.

٢٧- والرّابـعُ أنّ الزمانَ شِــركُهُم*** أغلظُ مِن شركِ الزّمـانِ المندثرْ.

٢٨- فالأولونَ يُشــركونَ في الرَّخـا***والآخِـــرونَ في الرّخـاءِ ،والضَّررْ.

(٦٦)– وهذا يشمل الّنبيّين ، والصّالحين .

٢٩- فاعلمْ-هُديتَ الرُّشدَ- ذا،واعملْ بهِ***وادعُ إلى الحقِّ المبينِ ،واصطبرْ[٦٧].

وكانَ الفراغُ منه

بفضل الله ونعمته ،وحوله وقدرته

منتصفَ ليلة الحادي والعشرين من شعبان عام ١٤٣٥

من هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ،والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

أبو سُفيان عمرو سادات

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين[٦٨]

---

(٦٧)- قال الله – تعالى – { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)}.

(٦٨) وقد قرأت النظم بفضل الله تعالى على فضيلة الشيخ الوالد –حفظه الله- وأمرني بوضعه مع شرحه المبارك مع الاعتناء بالشرح.

هذا وقد عرضت هذا النظم ،وغيره على عدد من أهل العلم من أهل السنة منهم شيخنا المفضال عادل السيد -حفظه الله تعالى- وقد أثنى عليها جميعا ؛ولله الحمد والمنة.